



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين



الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية - تخصص: عقيدة إسلامية

تحت إشراف:

باي أحمد عامر

الطالبتان:

برقوق زينب

طواهرية رشيدة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
نصيرة اعماره	دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	رئيسا
باي أحمد عامر	دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	مشرفا ومقررا
محمد عمارة	دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

نحمد الله ﷻ على أن وفقنا لهذا فله الحمد والشكر يا رب وبعد.

الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة- نهدي عملنا المتواضع هذا، إلى نبينا أشرف خلق الله

محمد ﷺ

كما نهديه، إلى اللذين قال فيهما الله ﷻ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ

أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: الآية 24] إلى والدينا الكريمين الذين صبروا

معنا لأجل هذه اللحظة؛ والتي يقف فيها المرء شاكرا لله أولا ثم إلى كل من قدم يد العون

من قريب أو من بعيد ولو بكلمة.

إلى كل أفراد أسرتينا، إلى كل الأصدقاء، وإلى كل المسلمين كافة.

ونسأل الله ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل والذي نرجو من خلاله أن يكون منهلًا للطلبة

المقبلين على هذا التخصص فيجدون ما يتزودون به.

رشيدة - زينب

شكر وعرّفان

ربّنا لا يطيب لنا حال إلا بذكرك وشكرك وحمدك والثناء عليك، فاللّهم لك الحمد والشكر
حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ولك الحمد حمداً لا ينفذ أوله ولا ينقطع آخره اللّهم لك الحمد فأنت
أهل أن تحمد وتعبد وتشكر.

نتقدّم بالشّكر إلى كل أساتذة قسم أصول الدين، وقسم العقيدة بالخصوص من أساتذة وطلبة.
إليك أستاذنا الفاضل على صبرك وقبولك الإشراف على هذه المذكرة، وعلى الجهد الكبير
الذي بذلته، وعلى نصحك وتوجيهك لنا، فبارك الله فيك.

كما ندين بالشكر والثناء إلى الأستاذ الكريم: **نبيل صوالح محمد** الذي لم يتفان في تقديم
المساعدة لنا وتشجيعه المتواصل، فكل عبارات الشكر والتقدير لن توفيه حقه، فبارك الله في
علمه وعمله وجهده.

إليك أستاذنا الفاضل **بدر الدين عكيشي** جزاك ربي خيرا.
وندين بالشكر أيضا إلى كل من كانوا عوننا لنا في بحثنا هذا، وإلى الذين قدّموا لنا المساعدات
والأفكار والمعلومات فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

رشيدة - زينب

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً وبعد:

تمهيد:

اقتضت حكمة الله ﷻ في هذا الوجود أن خلق الإنسان من مادة وروح في أحسن صورة، كما زوّده بمدارك من أجل التّهوض بأمر الخلافة، ويُعتبر الإنسان مركز الوجود ابتداءً، وهو المخلوق المكرّم من بين سائر المخلوقات، حيث رفعه الله تعالى ووكل له وظائف ومسؤوليات لأجلها خُلق، ليس هذا فحسب بل إنّ الإنسان في هذا الكون ينتظره جزاء ومصير في الحياة الآخوية، لذلك فبمقدار ما يعرف الإنسان ذاته وحلّقه وأهمّية مقاصد وجوده ومصيره، بمقدار ما ينجح في تحقيق سعادته الدنيوية وفي الحياة الآخوية، ويُعتبر محمّد سعيد رمضان البوطي، من أبرز المفكرين والدّارسين في العصر الحديث الذين عنوا بمبحث الإنسان، وأولاه في أبحاثه أهمية كبيرة، حيث سعى إلى بيان مباحث الإنسان وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، وبخشنا هذا حاولنا فيه تسليط الضّوء على رؤية محمّد سعيد رمضان البوطي لموضوع الإنسان من زاوية الفكر العقدي.

إشكالية الموضوع:

ومن هنا فإنّ الإشكالية التي يدور حولها بحثنا؛ هي الإنسان في فكر البوطي وبناءً على ذلك نطرح التساؤل التالي:

* ما هي الرؤية الفكرية للإنسان عند محمّد سعيد رمضان البوطي؟

ويندرج ضمن هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما مفهوم الإنسان في فكر محمّد سعيد رمضان البوطي؟

- كيف خُلق الإنسان وما طبيعته التكوينية في فكر محمّد سعيد رمضان البوطي؟

- ما هي الوظيفة الوجوديّة للإنسان؟

- ما هو مصير الإنسان في فكر محمّد سعيد رمضان البوطي بعد رحلته الدنيوية؟

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية البحث في ما يلي:

للموضوع أهمية بالغة على المستوى الذاتي؛ من بيان الرؤية والتصور لموضوع الإنسان عند البوطي في جوانبه المتعددة، أما على المستوى العملي؛ كون البحث يأخذ أهميته من حيث توضيح وظيفة الإنسان المتمثلة في أمر الخلافة، ونتيجة لذلك يحقق الطمأنينة وانسراح القلب والعيش الكريم في الحياة الدنيا والآخرة.

أهداف الموضوع:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف:

- بيان مفهوم الإنسان عند الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي
- المساهمة في توضيح الرؤية الفكرية لمحمد سعيد رمضان البوطي حول مبدأ وجود الإنسان.
- تناول مبحث الإنسان في فكر البوطي من حيث الوجود والاستخلاف في الأرض.
- عرض وظيفة الإنسان ومسؤوليته عند العلامة البوطي.
- بيان جزاء ومصير الإنسان في اليوم الآخر في فكره -رحمه الله-.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن بين الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا البحث:

الأسباب الذاتية:

- رغبتنا الشخصية في الوقوف على ملامح الرؤية الفكرية عند محمد سعيد رمضان البوطي حول موضوع الإنسان.

- محبتنا في التطلع على التراث الذي تركه البوطي - رحمه الله -.

- الإعجاب في شخصه ذاته.

الأسباب الموضوعية:

- الوقوف على مساهمة محمد سعيد رمضان البوطي في إثارة وتسليط الضوء على مكانة الإنسان في العقيدة الإسلامية؛ حيث تدخل هذه المسألة في صميم تحديد الدرس العقدي الإسلامي.

- في ظل ما تشهده الحضارة المعاصرة من إضاعة جانب مهم في تكوين الإنسان بإهمال قيمته وجانبه الروحي، يعتبر بحثنا محاولة للوقوف على الرؤية الفكرية للإنسان عند علم من أعلام الدعوة المعاصرين وهذا ما دعانا للبحث في ذلك، في إطار معالجة هذا الخلل.

- المساهمة في البحوث الداعية إلى تصحيح كثير من المثالب في الفكر الإنساني حول مباحث الإنسان.

الدراسات السابقة:

رغم الدراسات العديدة للباحثين حول موضوع الإنسان، إلا أنه وفي حدود اطلاعنا لم نعثر على دراسة محدّدة حول الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي؛ بينما هناك من تناول موضوع الإنسان بشتى جوانبه وباختلاف الرؤى سواء من الباحثين المتقدمين سابقاً أو من المعاصرين حديثاً؛ وسنقدّم نماذج من الدراسات لكلا العصرين قديماً والعصر الحديث، وسنختصر على ثلاثة نماذج أو دراسات لباحثين مسلمين نذكر ما يلي:

* بعض الدراسات التي تناولت موضوع الإنسان من المتقدمين:

- **الذريعة إلى مكارم الشريعة للزّاغ الأصفهاني؛** حيث يركز فيه المؤلّف على جانب العبودية للإنسان وكيف يصل إلى منزلة الخلافة التي من أجلها خلق وبذلك الجمع بين أحكام الشرع ومكارمه للفوز بالجنة، فقسّم الكتاب إلى سبعة فصول؛ أولها في "أحوال الإنسان"،

وفصيلته"، و"أخلاقه"، وآخر فصل فيه بعنوان "في ذكر الأفعال"، وهو بذلك تصور وظيفي الرؤية لأن مؤلفه ركز على جانب العبودية والاستخلاف.

-**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** للزَّاعب الأصفهاني؛ حيث يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة وثلاثين باباً، حيث يركّز في رسالته على تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، فالنشأتان: التي ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: 62]، والنشأة الثانية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: 20]، وأمّا السعادتان المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 47]، والثانية: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: 108]، كما تعتبر هذه الدراسة في حدود علمنا من أولى الدراسات التي اهتمت بمباحث الإنسان؛ بينما دراسات المتقدمين أغلبها دراسات موسوعية تتناول المسائل بتوسّع، وكتاباتهم لا تخلوا من تناول مسائل الإنسان، لكن دون تخصيص لمبحث الإنسان كمحور مستقل، حيث تعرض المتكلمون جميعاً لمسألة خلق الإنسان، طبيعته الثنائية، ووظيفته وما تتضمنه من مسألة أفعال العباد وحريرتهم وخلق أفعالهم ومصيرهم، واستفدنا من هذه الدراسة في مسألة جزاء ومصير الإنسان في اليوم الآخروي.

*أمّا من مؤلفات المعاصرين نذكر:

-**الإنسان في القرآن** لعبّاس محمود العقّاد؛ فقد تحدّث فيه المؤلّف عن إنسان القرن العشرين كما سماه عصر الأيديولوجية أو عصر الحياة على مبدأ وعقيدة، وهذا الكتاب يحتوي على كتابين؛ الأول منه بعنوان الإنسان في القرآن وعرض فيه مبدأ الإنسان، وتكوينه، ووظيفته، وعن شخص آدم عليه السلام، بينما الكتاب الثاني عنوانه الإنسان في مذهب العلم والفكر؛ وهنا ركّز فيه المؤلّف عن عمر الإنسان، كما تحدّث عن مذهب التطور، وأثره في الغرب والشرق، كما أعرج عن مستقبل الإنسان في علوم الأحياء، وبذلك فهو تصور وظيفي، وقد

استفدنا من هذا الكتاب في تعريف العقّاد للإنسان من خلال فهمه للقرآن الكريم بالتحديد مسألة الإنسان من حيث الوظيفة والمسؤولية.

- **القرآن وقضايا العصر** لعائشة بنت الشاطي؛ حيث يحتوي الكتاب على قسمين؛ ففي قسمه الأول معنون بالإنسان والعصر، والقسم الثاني بعنوان أمّتي والعصر؛ وهذه الدراسة تناولت معاناة إنسان العصر وهواجسه، ومآسيه، ثمّ عدّلت عنه الكاتبة لأنّ العصرية اختلّت موازينها، وصرّحت عائشة بنت الشاطي في مقدمة كتابها أنّها تشغلها قضايا كانت وستظل مشغلة الإنسان حيثما وأيّ كان، فيما يحمل من أمانة إنسانيته، وتكاليف وجوده، وشواغل دنياه، وهواجس أخراه، وقد استفدنا من هذه الدراسة في توضيح بعض المعاني التي واجهتنا في هذا البحث كجزئية بعث الإنسان بعد موته.

- **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل** لعبد المجيد النجار؛ حيث يحتوي هذا الكتاب على بابين؛ ففي بابه الأول تناول فيه مؤلفه موضوع الخلافة "المهمة الوجودية للإنسان"، أمّا الثاني فتناول فيه دور العقل في إنجاز الخلافة؛ فقد استفدنا من هذه الدراسة في تبسيط بعض المفاهيم الخاصة بالموضوع، كذلك استفدنا منه في مسألة وظيفة الإنسان وهي الخلافة وأهميتها في القرآن الكريم.

وموضوعنا هو دراسة مستقلة تُسلّط الضوء على الرؤية الفكرية عند محمّد سعيد رمضان البوطي حول موضوع الإنسان، فاعتمدنا في دراستنا هذه على عدّة كتب للبوطي؛ وقد استفدنا من الدراسات السابقة عند الباحثين المتقدمين، كما تميّز بحثنا بالوقوف على مباحث الإنسان عند شخصية معاصرة كان لها اهتمام بالغ بمبحث الإنسان حاولت الوقوف عليها، وإعطاء الإنسان حقه، واستجابة إلى متطلّبات عصره وتحدياته.

منهج الدراسة:

قد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الاستقرائي بالوقوف على مباحث الإنسان في كتب الشيخ البوطي، كذلك المنهج الوصفي الذي وظّفناه في عرض فكر ورؤية محمد سعيد رمضان البوطي للإنسان، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لفهم نصوصه وعباراته.

صعوبات البحث:

واجهتنا صعوبات في مسيرة إنجاز هذا البحث نذكر منها:

- لم نستطع الحصول على بعض الكتب الورقية والإلكترونية للبوطي، والتي كان المأمول أن نجد فيها ما تناوله لمبحث الإنسان.

- الظروف الاجتماعية الصعبة في ظل انتشار الوباء، ممّا صعّب علينا حركة التنقل والالتحاق ببعض المكتبات.

خطة البحث:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة في بيان الرؤية الفكرية للوجود الإنساني لمحمد سعيد رمضان البوطي، دعت الضرورة المنهجية في بناء الخطة إلى تقسيمها كالتالي:

- بداية قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

وكأىّ بحث لابدّ من ضبط المصطلحات وشرحها؛ وهذا ما قمنا به في المبحث الأول والذي بعنوان المفاهيم والترجمة؛ حيث أدرجنا ضمنه مطلبين؛ تناولنا في المطلب الأول تعريف الإنسان لغة واصطلاحاً، أمّا المطلب الثاني قدّمنا فيه ترجمة للبوطي.

- بينما المبحث الثاني تناولنا فيه موضوع الإنسان وفق الترتيب التصوري لوجود الإنسان من خلق، وطبيعة في فكر محمد سعيد رمضان البوطي وقسمناه إلى مطلبين؛ المطلب الأول تحدّثنا فيه عن خلق الإنسان في فكر البوطي، والمطلب الثاني تكوين الإنسان في فكر البوطي.

- أمّا المبحث الثالث والأخير فأدرجناه حسب الترتيب المنطقي لكون المصير مرتبط بمدى تحقيق الاستخلاف؛ فقد تطرّقنا فيه الحديث عن خلافة الإنسان ومصيره في اليوم الآخروي عند البوطي، وهو بدوره قمنا بتقسيمه إلى مطلبين؛ ففي المطلب الأول خصصنا فيه الحديث عن وظيفة الإنسان ومسؤوليته في فكر البوطي، بينما المطلب الثاني تناولنا فيه جزاء ومصير الإنسان في اليوم الآخروي في فكره -رحمه الله-.

وأما الخاتمة فقد أدرجنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

ضوابط منهجية: والتي نوضّح فيها بعض الضوابط المنهجية المتعلقة بالشكل والمضمون:

- 1- اقتصرنا على ذكر لفظة (البوطي) باختصار وهو اسمه الشهرة، عوض اسمه كاملاً.
- 2- بالنسبة لترجمة الأعلام التي ذُكرت في هذا البحث، فلم نترجمها كلّها، اكتفينا بترجمة الأعلام الذين اهتموا بدراسة مبحث الإنسان.

3- كما اعتمدنا على مصحف المدينة المنورة في عرض وإدراج الآيات القرآنية.

4- أمّا بالنسبة للأحاديث النبوية فالتزمنا على الصّحيح منها في أغلب البحث.

وصلّى اللّهم وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول: المفاهيم والترجمة

✓ المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصطلاحًا

✓ المطلب الثاني: ترجمة محمد سعيد رمضان البوطي

المبحث الأول: المفاهيم والترجمة

بداية نتناول منهجياً، المفهوم اللغوي والاصطلاحي؛ ونقتصر عن المعاني التي أفردت هذه القامة والتي تؤدي إلى المعنى المطلوب في هذا البحث، ثم نعرّج على ترجمة محمد سعيد رمضان البوطي.

المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصطلاحاً

ونتناول في هذا المطلب تعريف الإنسان، وقد قمنا بتخصيصه في المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظة الإنسان.

أولاً: الإنسان في اللغة:

تذهب المعاجم اللغوية؛ إلى أنّ كلمة الإنسان لها عدة معاني حيث يمكن أن تتجاوز العشرة، لكن سنخصّ بالذكر عن المفاهيم المقتصرة على الإنسان الذي هو هذا المخلوق المكرّم.

نذكر ما يلي:

1- معنى النسيان: من أنس أصله إنسيان، والعرب قاطبة تقول في تصغيره أنيسيان، ودلّت الياء في الآخر إلاّ أنّها حذفت لكثرة استعمالها، وذكر أبو منصور "إذا كان الإنسان في الأصل إنسيان، فهو إفعالان من النسيان".¹

2- معنى البشر الواحد: من الإنس أي البشر، كالإنسان الواحد إنسي وإنسيي.²

3- معنى الإيناس والإيحاء: الأناص أصلها بالضم، واستأنس بفلان تأنس به، والأنيس المؤانس وكل ما يؤنس به، وما بالدار أنيس أي أحد، وأنسه بالمدّ أبصره، وأنس منه رشداً أيضاً علّمه، وأنس الصوت سمّعه، والإيناس خلاف الإيحاء.³

1 - ابن منظور، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، 1993م، ج6، ص10-11.

2 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط8، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، 2005م، ج1، ص530.

3- الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1999م، ج1، ص23.

وبهذا تكون كلمة إنسان في اللغة تؤدّي معنى النسيان ومعنى البشر الواحد ومعنى الإيناس الذي هو خلاف الإيحاش.

ثانياً: الإنسان في الاصطلاح:

لقد تعددت تعريفات الإنسان اصطلاحاً، ذلك بحسب اختلاف الرؤى والأفكار والمذاهب كما وضّحنا في بداية هذا البحث، ففي هذه الجزئية سنسلط الضوء على تعريف الإنسان اصطلاحاً، ومفهوم الإنسان من خلال القرآن الكريم من عدّة جوانب:

1- اصطلاحاً:

جاء تعريف الإنسان عند الجرجاني بالقول بأنّه "حيوان ناطق"¹، ويطلق ويراد به المعنى القائم بهذا البدن، وليس المشار إليه ب: "أنا" الهيكل المحسوس بل الإنسانية؛ التي هي صورتها النوعية الحالة في مادتها المحصّلة لنوع البدن الإنساني.²

والإنسان هو المخلوق الذي يمشي على قدميه، ذو الأظفار باذي البشرة مستقيم القامة ضحّاك بالطّبع.³

- ويرى أبو حامد الغزالي أنّ الإنسان على رتبة بين البهائم، والملائكة؛ فهو من حيث الغذاء والنّسل فنبات، ومن حيث الإحساس والحركة فحيوان، ومن حيث صورته وقامته كالصّورة المنقوشة فإنّما خاصّيته معرفة حقائق الأشياء.⁴

كما أنّه هو الحيوان الوحيد الذي يتمتع بالعقل حيث يتميز بالمستوى الإدراكي، وهو مخلوق هجين بحيث يمتزج فيه النور والدم، الشّعاع والطين، الطهارة والرجس، الأمل واليأس.⁵

1- الجرجاني، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1983م، ج1، ص38.

2- أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ج1، ص198.

3- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر، بيروت - دمشق، 1989م، ص364 [بتصرف].

4- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، ج3، ص9.

5- زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، (د.ط)، القاهرة، مكتبة مصر، 1937م، ج2، ص9.

وبذلك فالإنسان مخلوق مميّزه الله تعالى بحسن القامة والخلق، كما يتمتع بنعمة العقل أو المستوى العقلي، دون سائر المخلوقات كما يشترك في بعض الصفات مع الكائنات الأخرى.

2- الإنسان من خلال القرآن الكريم:

كائن مخلوق استحقّ التكريم، والتفضيل، من أجل ذلك سُخِّرَتْ له العديد من النعم للهوض بأمر الخلافة، ويمكن أن نقسم هذه الجزئية إلى أربعة أقسام؛ الإنسان من حيث الطبيعة ومن حيث الخلق ومن حيث الوظيفة والمسؤولية ومن حيث أنه كائن مكرم ذو سيادة:

أ- الإنسان من حيث الخلق:

والإنسان كائن مكرم بحسن الخلق، فلقد ورد في القرآن الكريم، ثلاثة مواضع تتحدث عن المصدر الذي خلق الله منه الإنسان، ففي موضع يقول تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٤ ﴾ [الرحمن: 14]، وفي موضع يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ٢٦ ﴾ [الحجر: 26]، أي: من طين متعفن كريبه الرائحة كالوحل، وفي موضع ثالث يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ١٣ ﴾ [المؤمنون: 12].

وبهذا أراد الله تعالى، أن يخلق خليفته في الأرض من طين أو من وحل، ومن ثم نفخ فيه من روحه في هذا الصلصال ووجد الإنسان.

ب- الإنسان من حيث الطبيعة:

مكوّن من جسم، وعقل، وروح، والنفس البشرية تشمل أولئك جميعا ولا تُضيق بشيء منها، والإسلام يعترف بالكائن البشري كما هو، فيحقق رغبات الجسد، والعقل، والروح، ويهدف إلى إيجاد التوازن بين الجميع،¹ قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٧ ﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ [الإنفطار: 7-8].

يُلاحظ أن التعريف قد مزج بين مكونات الإنسان الجسمية، والعقلية، والروحية، فقد وفق إلى حد كبير إلى مفهوم الإنسان من حيث طبيعته.

1- محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط9، القاهرة، دار الشروق، 1988م، 56-57.

فهذا الإنسان الخليفة في الأرض، خُلق من وحل يعني من أحط مادة في الأرض ثم نفخ الله فيه من روحه أي من أشرف شيء، وبهذا يكون الإنسان موجود ذو بعدين، بُعد منه يميل إلى التراب والانحطاط، وبُعد ثاني وهو الروح المنسوبة إلى الله يميل إلى التعالي ويتجه إلى السمو إلى الله تعالى في الوجود.¹ أي: إلى الله

ج- الإنسان من حيث الوظيفة والمسؤولية:

يذهب محمود عباس العقاد² في تعريفه للإنسان بأنه: "الخليفة المسؤول بين جميع ما خلق الله"³ كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ﴾ [الأنعام: 165]، فهو كائن مكلف لأنه من بين سائر المخلوقات، مناط التكليف والمسؤولية، وهذا التعريف أصوب من جعله حيوان ناطق، لأن الكائن الناطق لا يكون شيئاً ما لم يكن أهلاً للتكليف.⁴

وهناك العديد من الآيات القرآنية تشير إلى ذلك من بينها قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110] وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

1- علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ترجمة: عباس الترجمان، ط2، بيروت، دار الأمير، 2007م، ص17-18.
 * عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد: "إمام في الأدب، مصري من أسوان، سعى للرزق فكان موظفا بالسكة الحديدية وبوزارة الأوقاف بالقاهرة، ثم معلما في بعض المدارس الأهلية، ثم اهتم بالكتابة فأخرج ثلاثة وثمانون كتابا من بينها: "عن الله" و "عبقرية محمد" و"عبقرية الصديق"... وغيرها، توفي بالقاهرة ودفن بأسوان". ينظر: خير الدين الزركلي الأعلام، ط7، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، 1986م، ج3، ص266-267.
 3- عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، ط1، المؤسسة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، 2016، ص11.
 4- أبو اليزيد العجمي، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، (د.ط)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، (د.ت)، ص16.

ويعرّف عبد المجيد النجار¹ الإنسان من حيث هو كائن مُكلّف بالقول: "هو الكائن الذي جُمعت فيه قوى مادية وعقلية ناطقة، فكان ذلك الجمع أساس التكليف وحمل الأمانة؛ وقد أخبر القرآن الكريم، أنّ هذا الجمع تحقق في شخص آدم فكان الإنسان الأول"² قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلَٰصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 28-29]، وهذا التعريف جمع بين طبيعة الإنسان وتكوينه، وأنه بهذا الجمع هو أهل للخلافة.

د- سيادة الإنسان وشرفيّة التكريم والتفضيل:

يرى البوطي أنّ: الإسلام أول من قرر سيادة الإنسان، ولعلّ من أجلى النصوص القاطعة في الدلالة على السيادة التي مّتع الله بها الإنسان من حيث هو إنسان، قوله ﷻ: ﴿*وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء الآية: 70]، ومن الواضح أن التعبير بكلمة "بني آدم" إنما يدل على التعميم الذي يخترق الفوارق الطبقيّة، وفوارق الألوان والأعراق وحتى الديانات، ذلك لأنّ الآية تعلن بأن مّنع الله الإنسان هذا التّكريم، كان أسبق من حظوظه اللونية والعرقية...³ يلي هذا النص للدلالة على هذا التّكريم قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34].

*عبد المجيد النجار (وُلد سنة 1945م): "من مواليد تونس؛ قرية بني خدّاش، حاصل على الدكتوراه في العقيدة والفلسفة من جامعة الأزهر، كما درّس بجامعة الزيتونية وغيرها، كما شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية العالمية، له العديد من المؤلفات من بينها: "العقل والسلوك في البنية الإسلامية"، "المهدي بن تومرت"، "صراع الهوية في تونس... وغيرها". ينظر: عبد المجيد النجار، الشهود الحضاري للامة الإسلامية، فقه التحضر، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م، ج1، ص186.

2- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، ط1، الرباط-المملكة المغربية، دار الزيتونة للنشر، 1996، ص73.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، الله أم الإنسان أيهما أقدّر على رعاية حقوق الإنسان، (د.ط)، دمشق- سوريا، دار الفكر، (د.ت)، ص11.

وصحيح أنّ أيّاً من هذه النصوص لم يورد كلمة السيادة، إنما جاء التعبير بالتكريم والتفضيل وبإسجاد الملائكة له، غير أننا لو أردنا أن نترجم كلمة "السيادة" لن نجد أبلغ في التعبير عنها من كلمة التكريم والتفضيل، ومن إعلام الله الإنسان بأنه **عَجَلِك** رفع شأنه وأمر الملائكة له؛ أي سجود تبجيل وتكريم وتألّيه، لا سجود عبادة وتألّيه.¹

وهكذا نصل إلى أن الإنسان في المنظور القرآني، يختص بأنه الكائن المخلوق والمتميز والمكرم، متوازن الطبيعة جسده وعقله وروحه، وهو الخلفية المسؤول من بين المخلوقات، كما أنه مكلف ومزود بنعمة العقل من أجل الاستخلاف في الأرض.

3- مفهوم الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

لم تختلف رؤية البوطي لمفهوم الإنسان عن النظرة القرآنية التي بثها في كتبه، ذلك لأنه استمدّها واستدلّ بها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي هذه الجزئية سنتناول هذا المفهوم من ثلاثة زوايا، ونبيّنهما فيما يلي:

أ- مفهوم الإنسان من جهة التكوين عند البوطي:

يعرّف البوطي الإنسان من حيث القامة وبنيته الجسمية بأنه: ذو تركيب ثلاثي مؤلّف من الهيكل الجسدي، والغرائز الحيوانية المبتوثة في كيانه النفسي، ومن الرّوح العلوية الهابطة إليه من الملائكة الأعلى،² فهذا السّرّ ينعكس على الدماغ فيكون إدراكاً وعقلاً، ويشرق على القلب فنسميه عواطف ووجدان، ويسري في خلايا الجسم فيكون شعوراً، ومن الثابت أنّ كلاً من هذه العناصر الثلاثة التي رُكّب منها الإنسان يحتاج إلى غذائه الذي يناسبه، وما الإسلام في حقيقته إلا مائدة عامرة رصفت فوقها هذه الأنواع الثلاثة من الأغذية في تناسق واعتدال؛ فنوع منها للجسد ومتطلباته، ونوع للغرائز الحيوانية التي تعيش في كيانه، ونوع آخر للروح وأسرارها.³

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان، المرجع، السابق، ص12.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الظلاميون والتورانيون محاولة لمعرفة من خلال سلّم العلم فالدين فالأخلاق، ط1، دمشق، دار الفكر، 2010م، ص169.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا، ط3، دمشق، دار الفكر، 1994م، ص296-297.

ففي هذا التعريف ركّز فيها البوطي عن العناصر الثلاثة المكوّنة للإنسان ألا وهي: الجسد والغرائز النفسية والروح، كما عرّج عن كون الإسلام هو الذي يُحقّق الإشباع الفطري لهذه المكوّنات.

ب- مفهوم الإنسان من جهة الاستخلاف عند البوطي:

هو عبدٌ للإله الذي خلقه، ومملوكٌ حقيقي له، ولا يملك أن يغني نفسه بعلم ولا بعقل ولا مال، وأنّ الله لم يخلقه بين مكوّناته عبثاً، وإمّا حمّله مسؤولية الخلافة عن الله في الأرض، يعمّرها ليقم سلطان العدالة الإلهية في جنابها، وأنّه جلّ وعلا يرقّبهُ في كل حركاته، وسكناته وخطراته، وسيبعثه من بعد الموت، ويوقفه بين يديه ليجزيه على كل ما قدّمته يده من خير أو شر.¹ في هذا المفهوم يرى البوطي أن الإنسان خُلِق لحكمة العبادة، وأنّه أنيط بحمل الخلافة لإقامة عدل الله، فهو مسؤول عن كل ما بدر منه، وسيلقاه جزاء أخروي بعد موته.

ج- مفهوم الإنسان من جهة الجوهر عند البوطي:

تحدّث البوطي عن الكيان الإنساني فوضّح: أنّ الكيان الإنساني إذا أسقطنا منه صورة اللحم، والدم وهي الجسد، يتكون من العقل والوجدان، فبهما تتحقّق إنسانية الإنسان، وبسّرهما كان للإنسان تاريخه فوق هذه الأرض، فمما لا شك فيه أن الدين الذي أنزله الله تبصيراً للإنسان بحقيقة الكون، والحياة، وإلزام له بالتعامل معهما على أساس تلك التبصر، يجب أن يكون مهيمناً على كل من العقل والوجدان، إذ لا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا خضع كيانه الإنساني كله لحقائق الإيمان ومبادئه.²

وبهذا فإن الكيان الإنساني يتكون من عقل ووجدان، وبهما تتحقّق إنسانية هذا الكائن المميّز، وأنزل هذا الدين إلا تبصيراً له من أجل تحقيق الحكمة التي خُلِق من أجلها.

تعتبر هذه السمات المتعلقة بالإنسان واضحة من ناحية الطرح، ووضوح العبارة، وشاملة لكل مكوّنات الإنسان؛ من حيث تركيبه الجسدي، والروحي كما في التعريف الأوّل، وتتطرق

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟، ط9، دمشق، دار الفكر، 2014م، ص35-36.

2- المرجع نفسه، ص195-96.

إلى كون الإنسان مخلوقاً للتكليف، وحمل الأمانة، وسيتلقاه جزاء أخروي بعد موته، كما أشار إلى نقطة مهمة جداً على أن الإسلام عقيدة وشريعة، يعتبر غذاءاً للعناصر الأساسية المكونة للإنسان، وهي كما عبر عليها البوطي: الهيكل الجسدي؛ والغرائز الحيوانية المبتوثة في كيانه النفسي؛ ومن الروح العلوية الهابطة إليه من الملائكة الأعلى، كما تطرق إلى كيان الإنسان وكيف أنه يتكون من عقل ووجدان، فبهما تتحقق إنسانية هذا المخلوق.

المطلب الثاني: ترجمة لمحمد سعيد رمضان البوطي

برزت في العالم الإسلامي شخصيات لها أثر، تميزت بمعالجة قضايا الأمة، وأبرزها الدفاع عن العقيدة الإسلامية، في ظلّ التخلف والضعف التي تعاني منه، فكان على عاتق هؤلاء إعادة بعث روح الوعي من جديد والعمل للتصدّي ضد الأفكار الغربية والتي تقوم على الجانب المادي في المقابل طمس الهوية وإهمال الجانب الروحي للإنسان والحط من قيمته، والعمل على إعادة بيان العقيدة وفق فهم سليم، من بين هؤلاء العلماء محمد سعيد رمضان البوطي الذي عمل على تصحيح الرؤية والمفهوم والرّد عليها بالمنهج العلمي وما جاء في العقيدة الإسلامية. فمن هو محمد سعيد رمضان البوطي؟ وكيف كانت مسيرته؟ وما أبرز المهام والأدوار التي لها تأثير في تصوره للإنسان؟

- مولد ونسبة محمد سعيد رمضان البوطي:

هو محمد سعيد بن الشيخ ملاً رمضان البوطي ولد عام: (1929م - 1347هـ) في قرية جيلكا الواقعة في تركيا قرب حدود العراق،¹ كان تعليمه الأول عند والده -الذي كان من أبرز علماء بلاد الشام؛ حيث كان العالم والمعلم والفقير، وأشربت روحه حقيقة التّصوف وأسراره وهو الذي عاش يحارب البدع ويمقتها-،² ولما بلغ محمد سعيد رمضان البوطي سن السادسة،

1- هشام عليوان وفادي الغوش، البوطي الدعوة والجهاد والإسلام السياسي، ط1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2012، ص15. 186

2- محمد خير بن رمضان، تكملة معجم المؤلفين، ط1، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، 1997م، ص186.

عُهد به إلى امرأة فاضلة كانت تُعلّم الأطفال قراءة القرآن، فختم تلاوة القرآن عندها خلال ستة أشهر.¹

-مرحلة تكوين محمد سعيد رمضان البوطي :

كانت مرحلة التأسيس في رحلة البوطي العلمية عند الشيخ حسن حبنكة، فأشرب حُبّ الأدب والمقالة، وبعد إنهاء دراسته الثانوية، تحوّل إلى الأزهر لاستكمال دراسته الجامعية فيها؛ فحصل على الإجازة في الشريعة، ثم حصل على دبلوم التربية في اللغة العربية.²

-الحياة العلميّة لمحمد سعيد رمضان البوطي:

شغل البوطي العديد من المواقع والمناصب من بينها: عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن، كما شارك في العديد من المؤتمرات العلمية في البلاد العربية والإسلامية وغيرها،³ وشغل رئيساً لقسم العقائد والأديان في كلية الشريعة بجامعة دمشق،⁴ لعلّ هذا الأمر جعله يهتم أكثر بجانب الإنسان، وتصحيح تصوّره ونظرته للكون والحياة في وجه النظرة المادية التي خلّفتها الحضارة الغربية، حتى أنّه ألّف كتباً تُقوّم تلك الأفكار، وفق منهجٍ علمي "حيادي" كما قال في كتابه "المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة".⁵ ومن بين تلك الكتب أيضاً: كتاب "نقض أوهام المادية الجدلية"، وكتاب "كبرى اليقينيّات الكونية"، و"الإنسان مسير أم مخير" وغيرها.⁶

1- محمد سعيد رمضان البوطي، هذا والدي القضية الكاملة لحياة الشيخ مُلا رمضان البوطي من ولادته إلى وفاته، (د.ط)، بيروت- لبنان، دار الفكر المعاصر 1995، ص 56-57.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، البدايات باكورة أعماله الفكرية، ط1، دمشق، دار الفكر، 2009، ص 11-13-14.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، العناية بالعبادات أساس لا بد منه لتثبيت المجتمع الإسلامي، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص7.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، قضايا ساخنة، ط1، دمشق، دار الفكر، 2016م، ص11.

5- محمد سعيد رمضان البوطي، كتابه المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، (د.ط)، (د.ن)، دار الفكر، (د.ت)، ص13 [بتصرف].

6- بعض الملاحظات حول "كتاب كبرى اليقينيّات الكونية" بالتحديد وكتبه التي تطرّقنا لها عموماً: الموضوعية، كثرة التساؤلات التي تدعو إلى إعمال العقل، قوة في الطّرح والرّد، سعيه إلى الوضوح والمزيد من الكشف عن الحقيقة، التواضع، ضرب أمثلة لتوضيح الفكرة، لم يستعمل في كتابه كبرى اليقينيّات على الفلسفة اليونانية أو المنطق الصوري إلّا مع تلك

-آثاره العلمية :

خلف محمد سعيد رمضان البوطي العديد من الآثار والكتب في مختلف المجالات، وسنقتصر على مجالين فقط؛ ففي العقيدة مثلاً: كتاب "كبرى اليقينية الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق" للبوطي؛ حيث تناول فيه مؤلفه "في مبحث الإنسان" تعريف الإنسان، وكذا مصير الإرادة الإنسانية أمام إرادة الله، وبالإضافة إلى مصير نظرية النشوء والارتقاء أمام هذه الحقيقة "الإنسان"؛ حيث ركزت هذه الدراسة على أنّ الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى، في أتمّ مظهر وأحسن تقويم، بأسلوب علمي مع كثرة الشواهد من القرآن والسنة النبوية، بالإضافة إلى ضرب أمثلة لتوضيح وتبسيط المعنى، وهذا ما يميّز أسلوب المؤلف في كتبه ومؤلفاته، فتناولنا واستفدنا من هذه الدراسة في كثير من جزئيات هذا البحث.

وكذا الدراسة الموسومة: "الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان"؛ ففي هذه الدراسة ركّز البوطي -رحمه الله-، على أنّ الإسلام أول من قرر سيادة الإنسان وهو مصدر هذه السيادة؛ وجزء كبير من هذا الكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة لمحاضرة خاصة بالموضوع؛ حيث دراستنا جاءت تتحدث عن مصير الإرادة الإنسانية أمام إرادة الله وَعَلَى.
أمّا في التزكية والأخلاق كتاب "شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري"، والتي شرحها البوطي على أربعة أجزاء، وحاولنا الأخذ والاستفادة منها كلها بما يخدمنا في هذا البحث، خاصة الجانب التكويني للإنسان والحديث عن التربية الروحية لهذه القامة "الإنسان".
والبوطي لم يتوجه في دراساته وأبحاثه إلى المسائل الفكرية المطروحة في الماضي، وإنما انطلق إلى متطلبات الحاضر ليواجه الفلسفات المادية وغيرها، فراح يناقش العلة العقلية في الحكم، ويستفيض بتقديم الحجة، والبرهان العقلاني على الموقف الرباني، فبالرغم من اختصاصه بأصول

الأدلة والبراهين القطعية التي تحمل قيمتها العلمية الثابتة، منهجي الطرح، كذلك التمسنا بأنّه يختم مباحث الكتاب بخلاصة، يأخذ بالرأي الراجح، وفي أغلب المسائل ولا يخوض في المختلف فيه مع الاستدلال من القرآن الكريم والصحيح المتواتر، يحيل رحمه الله إلى كتبه الأخرى في قضية ما.

الفقه إلا أنه اهتم بالفكر الإسلامي والعقيدة والإيمان والفلسفة، وأصبح من الدعاة المهتمين بالعقائد في بلده.¹

- شخصيات أثرت في تكوينه العلمي:

لقد قمنا باستلهاام هذا العنوان من كتاب شخصيات استوقفتني للبوطي، والذي ذكر فيه مجموعة من الأعلام التي أثرت في حياته العلمية، وقد صرح في مدخل الكتاب أنه قام بتأليف هذا الكتاب في ظل ظروف وجدانية، ونفسية، خاصة متميزة، وبين أن الهدف الذي يتبعه لم يكن عرضاً لتراجم، أو مناقب شخصيات، ذات شهرة على الطريقة التقليدية، وإنما قصد أن يقف على نقد ووهم دار على ألسنة الناس بشأن هؤلاء الأعلام² وهم: الفضيل بن عياض، عبد الله بن المبارك، أبو حامد الغزالي، جلال الدين الرومي، بديع الزمان سعيد النورسي، جمال الدين الأفغاني، مصطفى حسين السباعي، روجيه غارودي.

وهكذا فإن البوطي منذ نشأته كان تعليمه الأول على يد والده، مما يدل على أن الأسرة لها أثر كبير في تنشأة الرجال، ونتيجة ذلك كانت مسيرته العلمية، وما تقلده من مناصب، لها أثر في اهتمامه بالعلم، والاهتمام أكثر بجانب العقائد والأديان عمومًا، والإنسان على وجه الخصوص، والصد في وجه المذاهب الغربية ذات النظرة المادية للإنسان ونقض أفكارها وفق منهج علمي.

1- هشام عليوان وفادي الغوش، البوطي الدعوة والجهاد والإسلام السياسي، مرجع سابق، ص 23-24.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، ط7، دمشق، دار الفكر، 2008م، ص 11-13 [بتصرف].

المبحث الثاني: وجود الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

✓ المطلب الأول: خلق الإنسان في فكر البوطي

✓ المطلب الثاني: تكوين الإنسان في فكر البوطي

وجود الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

إنّ الدارس لكتابات محمد سعيد رمضان البوطي في شأن الإنسان يلاحظ أنّه أولاه اهتمام، حيث سعى إلى تصحيح الرؤى المخالفة للفطرة الإنسانية، والعقيدة الإسلامية وفق منهج علمي، لما وجدته من نظريات، وفلسفات مختلفة تُهمّل كيان هذا الكائن، بل وتغلب جانب المادة على جانب الرّوح، حتى وصلت بعض التّظريّات الفلّسفيّة إلى تألّيّه، فكيف كانت رؤية محمد سعيد رمضان البوطي حول خلق الإنسان وتكوينه؟ وما مصير الفلّسفات الحديثة القائلة بنظرية التطور والارتقاء؟ وكيف كان ردّه عليها؟

المطلب الأول: خَلق الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

اقتضت حكمة الله في هذا الوجود أن خلق الإنسان لعبادته وَعِبَادَتِهِ والامتثال لأوامره، ولقد أخبرنا الله تعالى في محكم تنزيله، عن قصة نشأة الإنسان، وكيفية خَلقه لآدم -عليه السّلام- في آيات كثيرة؛ والتطرق لهذا المطلب مهم، كونه عنصر أساسي في مبحث الإنسان، ومن خلاله معرفة كيفية خلق الإنسان في الرّؤية الفكرية للوجود الإنساني عند البوطي.

أولاً: العناصر المكوّنة لخلق الإنسان:

يؤكد البوطي في أكثر من موضع في كتبه بأنّ: الإنسان ثلاثي التركيب؛ فهو مركّب من الرّوح؛ والغريزة أي النفس الغريزية؛ والتي تُشكّل جامع بين الحيوانات، والجمادات، ومن قفصه الجسدي الذي يُشكّل هيكل الإنسان،¹ وشاء الله وَعَبَّكَ أن يُعلّمنا، بأنّ الجنس الأوّل البعيد لنشأة الإنسان هو التّراب، ثمّ أدخل في هذا العنصر الماء فأصبح طينا، ثمّ تُرك حتى أصبح يابساً كالفخار.²

وهذه الألفاظ التي أخبرنا بها القرآن في خَلق الإنسان، ظاهرها الاختلاف في اللفظ (الطين، والتراب، والفخار) وهي في المعنى راجعة إلى أصل واحد؛ لأنّ الله خلق آدم من تراب

1- محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، (د.ط)، دمشق، الصديق للعلوم، (د.ت)، ص284 [بتصرف]

2- محمد سعيد رمضان البوطي، لا يأتيه الباطل، ط1، دمشق، دار الفكر، 2007م، ص51.

جُعِلَ طِيناً، ثم انتقل فصار كالحمأ، ثم انتقل فصار صلصلاً كالفخار، والصلصال اليابس؛ فهذا كله أصله التراب وليس فيه شيء ينقض بعضه بعضاً.¹

كما أنّ البوطي أفاض الحديث عن خلق الإنسان من خلال كتبه؛² حيث أنّه تأمل فيما جاء من القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي المقابل ردّاً على المنكرين، والجاحدين لهذه الحقيقة البارزة للإنسان؛ وهذا ما سنبيّنه في العنصر الموالي.

ثانياً: خلق الإنسان في القرآن الكريم عند البوطي:

يرى البوطي بأنّ: القرآن الكريم بدأ خطابه إلى الناس بتوجيههم إلى النظر والتأمل في أنفسهم، وبالحديث عن أصل الإنسان وحقيقته، وكيفية نشأته وتكاثره، نجد ذلك واضحاً في أولى الآيات القرآنية نزولاً تعريفاً بالإنسان وجوهه، وهي قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: 1-5]، فنحن نرى أنّ الله لم ينه الإنسان إلى ربوبيته ووحدانيته، إلاّ من حيث أرشده إلى ذاته وأصل تكوينه ونشأته.³

كما أخبرنا عن كيفية خلق آدم، والعناصر التي كوّن منها، والقالب الذي أُفرغ فيه، وكيف جهّزه بالعقل والنطق منذ نشأته الأولى.⁴

ثالثاً: مكانة خلق الإنسان عند البوطي:

يرى البوطي بأنّه: كما ينبّه القرآن الإنسان إلى حقيقتين: أولاًهما أنّه مخلوق تافه أصله من تراب، وسلالته من ماء مهين، الشّأن فيه أنّه يعود إلى أرذل العمر، فلا يعلم بعد علم شيئاً

1- أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1988م، ج5، ص98.

2- من بين الكتب التي ذكر فيها البوطي في جانب "الخلق" كتاب كبرى اليقينات الكونية، ومنهج تربوي فريد في القرآن الكريم وغيرها من الكتب التي قمنا بلاطلاع عليها.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن الكريم، (د.ط)، باتنة، دار الشهاب للطباعة والنشر، (د.ت)، ص21-22.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتهم، مرجع سابق، ص128.

ويتهيء إلى مثل ضعف الطفولة الأولى، وثانيهما هي أنّ الإنسان مخلوق مُكْرَم على سائر المخلوقات، وأنه استأهل أن يُكَلِّفَ الله الملائكة بالسجود له، متمثلاً في أبيه آدم عليه -الصلاة والسلام-،¹ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: 34]، فهذا السجود يوضح المكانة الرفيعة للإنسان؛ فهو سجد تكريماً وتشريف.

ويرد البوطي بأنّه: شرف الله الإنسان بالعقل، والفكر، والقدرة على إدارة الأمور، وتسخير كثير من المكونات له،² وما من إنسان يُولد؛ إلا وقد غرس الله فيه فطرة التوجه إلى الإيمان بالخالق، وفطرة الطمأنينة إلى مشاعر عبودية الإنسان لله ﷻ.³ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]، كما دلت وأكدت على ذلك أحاديث نبوية صحيحة تبين أنّ كل إنسان إلا ويولد على الفطرة، من ذلك حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء».⁴

والإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها، يرى البوطي بأنّه: ثبتت هذه الحقيقة بدليلين: أحدهما دليل الخبر اليقيني الصادق، ثانيهما برهان العقل؛ أمّا الخبر الصادق فقوله ﷻ: ﴿* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، فبرهان العقل يتمثل في كَوْنِ أَنَّ النَّفْسَ الإنسانية تمتاز بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء، وهي بذلك أول مفتاح لتسخير كثير من مظاهر الكون للإنسان،⁵ وما نراه بالتجربة والمشاهدة من دلائل صدق قول الله تعالى: ﴿*

1- محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتنا، ط3، دمشق، دار الفكر، 1994م، ص280-281.

2- المرجع نفسه ص280.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان مسيرٌ أُمّحَيَّرٌ، (د.ط)، (د.ن)، دار الفكر، (د.ت)، ص107.

4- البخاري، الجامع الصحيح، باب إذا أسلم الصبي هل يصلّي عليه، حديث رقم 1358. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، ج2، ص94.

5- سنتناول جزئية تسخير المكونات للإنسان في المبحث الأخير من هذا البحث.

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾
[الجاثية: 13].¹

رابعاً: خلق الإنسان مجلّى جماع الصفات:

يوضح البوطي هذه الجزئية بأنه: كان من مقتضى المكانة التي بوأها الله للإنسان، والمهمّة التي شرّفه بها؛ أن يجهّزه بالإمكانات، والقدرات الخاصة التي تيسّر له سبيل النهوض بما كُلف به، وتمكّنه من إدارة شأن هذه الأرض على الوجه المطلوب، كالعلم، والقدرة، وحب الذات... غير أنّ هذه الصفات والقدرات التي جهّز الله الإنسان بها، أسلحة ذات حدين؛ فهي تصلح لأن تكون أداة تخريب وإفساد، وتصلح لأن تكون أداة إصلاح وتعمير.²

ويوضّح البوطي بأنّ: كلّ ما في الكون ونظامه، ووظائف المكونات المختلفة؛ إنّما يجري وفقاً لحاجة الإنسان وخدمته، كذلك تلك الصفات التي ركبها الله تعالى في الإنسان كصفة العلم، والقدرة فهي دليل على ذلك،³ ولتهذيب تلك الصفات يأمر الله الأسرة الإنسانية كلّها بالعمل على الوصول إلى معرفة هوية الإنسان، وقصّة هذا الكون بطريقة تعاونية متكافئة، ليس فيها تابع ومتبوع، أو قائد ومُفود.⁴

لكن هذه الصفات التي خلقها الله ﷻ كما يبيّن البوطي بأنه: لا بدّ لها من ضابط يضبطها وهو (الوحي) كي لا يعلو بعض على بعض، وأن لا يسود الفساد في الأرض، ويبيّن في هذا الصدد: أنّ الإنسان لم يستطع تسخير شيء ممّا في هذا الكون؛ إلّا يوم أن جهّزه الله بهذه الصفات، إلّا أن لها آفات عظيمة كما ذكرنا آنفاً، وقد لفت النظر إلى مدى أهميتها وضرورة حفظها ورعايتها، ومصدر خطورتها أنّها ليست في حقيقتها إلّا صفات الربوبية، فمن

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ط33، دار الفكر دمشق/ دار الفكر المعاصر، بيروت، 2013، ص245-247-248.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟، مرجع سابق، ص25-26.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص245-248.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، أدب الحوار في كتاب الله ﷻ، (د.ط)، (د.ن)، نحو القمة للطباعة والنشر، (د.ت)، ص18.

شأنها إذا وُجد منها نموذج ولو يسير عند الإنسان، أن ينسبه حقيقته ويجعله يتمطى إلى مستوى الربوبية والألوهية، رغم أنه لا يملك منها في الحقيقة إلا آثار ليس لها من حقيقة الصفات الإلهية إلا المشاركة في الاسم وحده.¹

ويوضح البوطي بأنّ: الإنسان بأمس الحاجة إلى تبصرة دقيقة بحقيقة هذه الصفات التي رُكبت فيه، وبالْحكمة من وجودها في كيانه، وتمييزه بها عن سائر الحيوانات والمخلوقات الأخرى، وإلى تعريف بكيفية استعمالها والاستفادة منها على وجهها الصحيح، وإلى معرفة العلاج الواقعي من أضرارها.²

خامساً: تذكير الإنسان بأصل هويته عند البوطي:

أشار البوطي إلى هذه المسألة المهمّة، وقدم علاجاً بأنّ: ما وقعت فيه الحضارة الغربية اليوم من سوء استعمال تلك الصفات كان مآل الإنسان الغربي الانهزام التّفسي واليأس، ولا بدّ من الرجوع إلى تلك المعاني إلاّ عن طريق الوحي؛ ويؤكد البوطي بأنّ: الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أتمّ مظهر، وأحسن تقويم والحديث على ذلك لا يخضع لبراهين التجربة والمشاهدة المحسوسة، إذ هو في جملة حديث تاريخي لن تستطيع أن تعمل فيه الفكر، ولكن الخبر الصادق المتواتر وضعنا في ذلك مالا مجال للشك أو الظنّ فيه³ وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [الذّٰى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ] [الانفطار: 6-7]، وما يؤكد ذلك حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: « إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ».⁴

1- محمد سعيد رمضان البوطي، على طريق العودة إلى الإسلام رسم لمناهج وحل لمشكلات، ط8، الجزائر، مكتبة رحاب الجزائر، 1987م، ص 79-80 [بتصرف].

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟، مرجع سابق، ص26.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص151.

4- مسلم، الصحيح، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم 6821. (د.ط)، بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ج8، ص32.

أي: أنه منذ أن خلق الله ﷻ آدم -عليه السلام- كانت صورته ذاتها لم تتبدل، وهي التي عُرف بها، ولم يتطوّر من شكل لآخر، خلافاً للفلسفات والنظريات القائلة بذلك، ويذهب البوطي بأنّ: إنسان الحضارة الغربية كلّما التفت إلى ذاته يتأمل فيها، لم يدرك من هذه الدّات إلاّ جملة علاقات تخفي وراءها أسرار عجيبة، لا يخترق إليها علم، ولا يصل إلى كنهها سلطان جهاز ولا فكر، لقد بذل كلّ ما أمكّنه من جهد في سبيل أن يعلم شيئاً عن حقيقة الرّوح التي تسري في كيانه، فانقلب من سعيه جاهلاً لم يأت بطائل.¹

كما يؤكّد البوطي بالقول أنّ: "إنسان الحضارة الغربية اليوم يكاد يعيش منفصلاً عن ماضيه من حيث هو ضياء كشاف وقوة دافعة، وعن مستقبله من حيث هو مخزن الآمال وباعث التخطيط، وتحشّر ذاته من جرّاء ذلك بكل طاقاتها وأهوائها ودوافعها، في نقطة الزّمن الحاضر وحده، ومآل ذلك بلا ريب انفجار مدمر رهيب ينتشر على أوسع رقعة من ساحة المستقبل".²

ويردّف البوطي متسائلاً: أليس من حق أيّ إنسان، أن يبحث عن الملاذ الجديد بعد هذا الاعتذار المزعوم،³ فماذا عسى أن يغني الإنسان ويشبع نهمه العقلي، وهو الذي كان ولا يزال توّاق إلى معرفة هويته وأصل نشأته، وإلى المصير الذي ينتظره بعد الموت، وإلى الوقوف على قصة هذه الرّحلة البشرية من مبدئها إلى منتهاها؟ إذن فقد قُضي على هذا الإنسان أن يُدفن محتقناً في قبر ضيق من هذه الجّهالات التي تحيط به، دون أن يجد من العلم في عصر العلم ما يُسعّفه وينجيّه من الهلاك.⁴

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الظّلاميون والتّورانينيون، مرجع سابق، ص 25.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، على طريق العودة إلى الإسلام رسم لمناهج وحل لمشكلات، مرجع سابق، ص 176.

3- أي إن جاء من يسأل عن نشأة الوجود الإنساني وما كان من خير الماضي، قيل له: لا علاقة للعلم بهذا الأمر، وإن جاء من يسأل عن مصير الإنسان بعد الموت وما هو مقبل عليه، قيل له: وهذا أيضاً لا شأن للعلم به، وإن جاء من يسأل عن العقل وسره أو الروح ومكانها من الجسد قيل له: وهذا أيضاً مما لا يدخل في اختصاص العلم. من كتاب هذه مشكلاتهم لمحمد سعيد رمضان البوطي، ص 120.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتهم، مرجع سابق، ص 121 [بتصرف].

وعليه فلا بد للإنسان أن يسلم إلى يقين بأن من وراء هذا الكون مكوناً أبداع نواميسه، فهو يمسكها من تدييره وقدرته في قبضة عجيبة لا تُغلب.¹

بعد هذا الطرح والذي حاولنا فيه قدر الإمكان تبسيط رؤية البوطي لخلق الإنسان من ناحية الخلق والصفات التي ميّزه الله بها من أجل النهوض بأمر الخلافة، وكيف أن الإنسان الغربي وقع في مطبات من سوء استعمال تلك الملكات، وكيف وضّح البوطي وقدم علاج لذلك، كان لا بد لنا أن نعرّج عن النظرية القائلة بالنشوء والارتقاء والتطور،² التي ظهرت على صعيد الفكر الإنساني، وكيف كان ردّ البوطي عليها.

سادسا: نظرية التطور، وردّ الشيخ البوطي عليها:

1- التعريف بنظرية التطور:

في سنة 1859م أظهر داروين³ أنّ: الأنواع المختلفة من نبات وحيوان وإنسان، نشأت تدرّجاً من طريق الاحتفاظ بمختلف التحوّلات التي تنشأ في أفراد كلّ منها، واستغرق التحوّل أحقاباً⁴ طويلة، وفقاً لما يقتضيه تأثير سنن طبيعية دائمة التأثير في طبائع الأحياء، وأبان داروين أنّ ما في مستطاع الإنسان أن يبتكر في السلالات الدّاجنة، من صور مستحدثة بالانتخاب الاصطناعي، في مُكنة الطبيعة أن تستحدث مثله بالانتخاب الطبيعي، وسمّيت هذه النظرية

1- محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتهم، المرجع السابق، ص27.

2- خصّصنا هذه النظرية بالذات نظراً للاختصار والأهم من ذلك ارتباطها بمبحث الإنسان؛ والتي ظهرت على صعيد الفكر الإنساني، وكذلك باعتبارها الأشهر من بين النظريات القائلة بتطور الإنسان، وكون خلق لإنسان المكرّم في العقيدة الإسلامية تتناقض كلياً مع هذه النظرية، وذكر البوطي هذه النظرية وغيرها في بعض مؤلفاته من بينها المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، وكذلك كتاب كبرى اليقينيات الكونية.

* تشارلز داروين: عاش ما بين عام (1808م و1882م) "بريطاني؛ بدأ دراسة الطب ثم لم يكمل مسيرته، وانتقل إلى دراسة اللاهوت، وتعلق بالبحث في عالم الأحياء، ودوّن ملاحظاته التي توصل إليها طوال ربع قرن من البحث، وتجلت له فكرة تطور الأحياء بعضها من بعض من ظاهرة التشابه في التكوين الجسمي بينها وبين بعض ظواهر أخرى، وكتب في ذلك كتابه المشهور "أصل الأنواع"، و"أصل الإنسان". ينظر: علي بن نايف الشحود، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، (د.ط)، (د.ن)، (د.د)، (د.ت)، ج51، ص484.

4- تشارلز دارون، أصل الأنواع، ترجمة: إسماعيل مظهر، (د.ط)، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداي سي أي سي، 2017م ص43.

«بنظرية التطور» والعوامل الطبيعية التي يؤدي إلى فعلها فهي خمسة: الوراثة، التحول، التوالد، التناحر على البقاء، وبقاء الأصلح.¹

لكن هذه النظرية لقيت نقدا كبيرا من قبل العلماء، سواء غربيين أنفسهم أو من علماء الإسلام من بينهم البوطي، فكيف كان رده -رحمه الله- عليها؟.

2-رد البوطي على نظرية التطور:

يذهب البوطي في رده على هذه النظرية بأن: الواقع الذي نشاهده يتنافى مع ما أسماه داروين قانون الاصطفاء والبقاء للأصلح، فإنّ الكون لا يزال يعجّ بالأصلح وغيره من شتى صنوف الحيوانات، بدءا بالهلاميات إلى القروذ فالإنسان، وإنّ كل ما رصده الإنسان من معارف عن التاريخ والتاريخ الطبيعي؛ دلّ على أنّ كل نوع من أنواع الحيوانات تطرأ عليه خسائر، لا تحت سلطان ما يسميه بمبدأ البقاء للأصلح، بل بسبب عوامل طبيعية،² والموت يتناقض هو الآخر مع ما يراه داروين من أنّ الطبيعة تسير مع جماعة الأحياء حسب قانون الاصطفاء، والبقاء للأصلح، فأيّ بقاء يتمّ للأصلح إذا كان الموت يتربص به.³

وبيّن الشيخ البوطي بأنّ: الحقيقة التي لا ريب فيها عند جميع العلماء المعنيين بهذا الشأن، أنّ شيئا من نظريات التطور لم يبلغ الدرجة التي يمكن للباحث،⁴ أن يستند إليها في أيّ مسألة علمية، وأنّ هذه النظريات، كلّها لا تزال واقفة عند طور الفرضية فقط، وداروين نفسه قد عرض أثناء فرضيته لتطور الأنواع من بعضها لمشكلات تعترض فرضيته وتنقضها، فاعترف بأنّه لا يستطيع أن يقدم أي جواب عليها، كرّر ذلك أكثر من مرة في كتابه "أصل الأنواع".⁵

والقرآن الكريم يبيّن بطلان الدّاعين لنظرية التطور، لأنّها تتنافى مع نصوصه المتعلقة بأصل الإنسان، وهذه النظرية لم يؤيدها إلى اليوم أي دليل علمي، بل تواردت الأدلّة على بطلانها، وأنّ السّمة الإنسانية كانت ملازمة له منذ خلق الله آدم -عليه السّلام- على النحو الذي بيّن،

1- تشارلز دارون، أصل الأنواع، المرجع السابق، ص 43-44.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، مرجع سابق، ص 307-308.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص 261.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، نقض أوهام المادية الجدلية (الديالكتية)، ط1، دمشق، دار الفكر، 1978م، ص 83.

5- المرجع نفسه، ص 83-84.

فلم يحصل الإنسان على هذه السّمة فيما بعد اكتساباً أو بعد صراع مع الطبيعة كما قد يُتوهّم.¹

3-الكشف العلمي الذي قضى على فرضيات التطور:

ينقد البوطي هذه الفرضية بالمنهج العلمي فأوضح بأنّه: بعد أن اكتشف العلماء ما في داخل الخلية الحيوانية والذي يُسمّونه اليوم بالصبغيات والتي تنطوي على شريط حشّدت عليه رموز شتى، تدلّ على الطّبائع، والصفّات، والأشكال الإنسانية؛ التي ستفتّح في حياة هذا الكائن الإنساني، وسائر ما يمتاز به الإنسان من المقوّمات الإنسانية، سواءً في مظهره، أو طبائعه وأخلاقه، نابعة من أصل تكوينه الذاتي، وليست طارئة عليه بفعل التطور المزعوم الذي اعتمد على مجرّد التشابه التدريجي في الأنواع، دليلاً على ذلك.²

كما يركّز البوطي في رده على دعاة نظرية التطور بأنّ: الإنسان خُلق منذ نشأته الأولى مُجهّزاً بالفكر والوعي، متمتّعاً باللغة والنطق، نزاع إلى التآلف الاجتماعي، فهو مُنفصل انفصلاً ذاتياً وجوهرياً، عن سائر الحيوانات الأخرى.³

وعليه فإنّ الإنسان حسب الرّؤية القرآنية؛ مخلوق منذ النشأة الأولى مكّرم، فلم يتطور ولم يتبدّل خلاف لتلك الفلسفات القائلة بأن الإنسان خاضع للتطور، سواءً على مستوى الخلق أو على الفكر، وهذا ما أدّى بالبوّطي إلى توضيح هذه المسألة والتركيز عليها، والرّد على مثل هذه التّظريات استناداً على القرآن الكريم و المنهج العلمي السديد.

المطلب الثاني: تكوين الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

تنطرق في المطلب الثاني إلى ما يُعتبر مادّة ونتيجة لمرحلة خلق الإنسان وقالب صفاته، متسائلين عن طبيعة تكوين الإنسان المكّرم في فكر البوطي، فهو مخلوق مكّرم منذ نشأته الأولى؛ خلقه الله تعالى في أحسن تقويم قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾

1-محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟، مرجع سابق، ص155-156.

2-محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصر، مرجع سابق، ص313.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟، مرجع سابق، ص98[بتصرف].

[التين: 4] أي: خلقنا الإنسان في أحسن صورة، فجعلناه مديد القامة حسن البزة، يتناول ما يريد بيده لا كسائر الحيوان، إلى أن خصّه الله بالعقل والتمييز، والقدرة على استنباط الحيل التي بها يستطيع أن يكون له السلطان على جميع الكائنات،¹ وسنعرّج في هذه الجزئية على الجانب التكويني للإنسان كما يلي:

أولاً: الجسد والروح ومكوّناتهما في فكر محمد سعيد رمضان البوطي:

خلق الله تعالى الإنسان من جسد وروح، وجعل لكلّ من هذين المكوّنين غذائه، وبيّنت العقيدة الإسلامية أهمية كلا منهما، والبوطي من خلال آثاره العلمية تناول هذين المكوّنين، بشيء من التوضيح والشرح، وهذا ما سنتناوله في هذا المطلب.

1- الجسد:

بداية حاولنا في هذا العنصر أن نقدّم تعريفاً، أو مفهوماً للفظ الجسد عند البوطي، لكن مع البحث المتواصل حول كتبه التي اطلعنا عليها، لم نجد مفهوم واضح للكلمة، فقط وجدنا ما يدلّ عليها من بنية وتركيب الإنسان الجسدي.

يرى البوطي أنه: بوسعنا أن نتبين هذا النظام الهادف في بنية الإنسان؛ أعضائه الظاهرة من سمع، وبصر، وشم، ولسان، ودماع، وأجهزته الخفية، وكلّ ما يتناوله بالبحث والدراسة علماء التشريح، فهي جميعاً تؤدّي وظائف في غاية الدقة والانتظام، تتجه إلى غاية واضحة تتمثل في تحقيق ما به دوام الحياة وانتظامها لشخص الإنسان.²

أ- حقيقة الجسد:

وجاء التعبير عن هذا المعنى³ ذاته، لكنّه بشيء من التفصيل أو المستند العلمي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2] أي: إنّ النطفة التي قضى الله أن يخلق الإنسان منها، تحتوي على أخلاط من الطبائع والصفات

1- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط1، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1946م، ج30، ص195.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، (د.ط)، دمشق، دار الفكر، 2003م، ج1، ص225.

3- أي بنية الإنسان الظاهرية التي تناولناها في النقطة الأولى من هذا العنصر.

المختلفة، وهي مجرد بذور ذات رموز وإشارات، فإذا تكامل الخلق وتحوّلت النطفة إلى بشر سوي، تفتحت البذور الخفية وتكوّنت منها الطّبائع الظاهرة، ويتبع الله ﷻ هذا البيان العلمي، بالكشف عن حكمته من تحميله الإنسان كل هذه الصفات التي كثيرا ما تكون متعارضة، بل متقادمة، وهي أن يزجه الله ﷻ من ذلك كلّه في حالة من الامتحان والابتلاء؛ وأن كل ما يقوله العلماء اليوم عن الشريط الوراثي (الكروموزومات) لا يعدو أن يكون شرحًا لهذا الذي يقرّه بيان الله تعالى.¹

ب- حقيقة هذا الجسد عند علماء الطّب:

وقد قام علماء الطّب بدراسة جسد الإنسان وتشريح جميع أجزائه، وأعضائه، وقد تبين لهم ما في خلق الإنسان من معجزات وآيات تدعو إلى الإيمان بقدرة الله وحكمته، وإبداعه في خلق أجهزته الدقيقة التكوين.²

كما يرى البوطي حول مصير خلايا الجسد: بأنّ في حياة الإنسان وجسمه، ومصير الخلايا؛ أنّها لا تلبث كلّها؛ فهي تتقاصر عن أداء وظيفتها، ثم تتحوّل إلى اضمحلال وموت، والقصة ذاتها تتحقق في التّبات والأشجار؛ فبالنّسبة لخلايا الجسم وغيره تتجدد، ولكن ضمن خط عام يتجه بمجموعه إلى الركود،³ ونسيج الجسم المؤلّف من خلايا يتبدّل دائماً، تذهب طائفة من هذه الخلايا لتحلّ محلها طائفة أخرى ومن ثمّ فالحركة دائمة، وجسم الإنسان اليوم غير جسمه بعد حين من الزمن، والتراب الذي تراه أعيننا في تبدّل وتطور دائمين، فكل الأشياء التي تراها أعيننا وكأنّها جامدة ثابتة، ولكنّها في الواقع تتطور بدافع داخلي يكمن في ذات المادة كما يقول العلماء.⁴

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العظائية شرح وتحليل، ج2، ص57.

2- محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، (د.ط)، (د.ن)، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص99.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، مرجع سابق، ص165-166.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، مرجع سابق، ص79-80.

ج- كلمة الجسد في القرآن الكريم:

ورد لفظ الجسد في القرآن الكريم بثلاثة أوجه، لكن ما نقصده التكوين الجسدي،¹ وعليه فإنّ الإنسان في تكوينه المادّي والجسدي خلقه الله تعالى من تراب، كما زوّده بأعضاء هي في غاية الدقّة والإبداع، وإنّ مصير خلايا جسم الإنسان في تغيير واستمرار وتبدّل.

2- الروح:

بعد أن خلق الله تعالى الإنسان من هذا الجسد الترابي في أحسن صورة وتقويم، نفخ فيه من روحه، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 29] وهذه نفخة تشرّيف وتكريم له، وأفاض الإمام البوطي الحديث عن الروح التي هي أساس التكوين الإنساني، ونفصل ذلك فيما يلي:

يرى البوطي في شأن تكريم الإنسان بالروح: أنّ الله عَجَّلَ قَضَى بأن تكون الروح السارية في كيان الإنسان سرّاً هابطاً إليه من الملائ الأعلى، منتمياً بنسب التكريم إلى ذاته العلية، ومن ثم فهي تظل في حنين دائم إلى العالم العلوي، وفي شوق شديد إلى الذات الإلهية.²

أ- مفهوم الروح عند البوطي:

يعرّف البوطي الروح بأنّها: سرّ لا مطمع في معرفة حقيقته، هذا السرّ الذي ينعكس على الدماغ فيكون إدراكاً وعقلاً، ويشرق على القلب فنسميه عواطف ووجدان ويسري في خلايا الجسم فيكون شعوراً وإحساساً³ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85].

ويردّف البوطي بشيء من الشرح بأنّ: الرّوح الإنسانية هي التي تتمتع بمقومات الإدراك والعلم، كما تمد الإنسان بحقيقة الإحساس والشعور، وتمدّ الكيان الإنساني بالحب والكراهية

1- ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996م، ج1، 382.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل ج2، مرجع سابق، ص208 [بتصرف].

3- محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا، مرجع سابق، ص296.

والتعظيم، فلم يبق إذن تحت اسم "الإنسان" إلا صورة اللحم، والدم، والعظام،¹ و الروح الإنسانية معجونة بمشاعر الحب والمهابة لله ﷻ، قبل أن يخاطبها الله بالتكاليف التي تستتبع الثواب والعقاب.²

وحقيقة هذه الروح عند البوطي بأنها: ليست عبارة عن الحياة التي يُحَدِّثها المعنى الطبي كما يتوهم بعض الناس، إنما هي سرّ هابط من الملائكة الأعلى، ألا ترون إلى قوله تعالى وهو يحيي خطابه للملائكة قائلاً: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29] فنسب هذه إلى ذاته تنويها بشرفها وسمو رتبها وإجلال لها، عن أن يحيط بكنهها عقل إنسان.³

ب- كلمة الروح في القرآن الكريم:

جاءت كلمة "الروح" في القرآن الكريم على ستة أوجه: الرحمة، الملك، جبريل، الوحي، عيسى، الحياة.⁴ والله ﷻ خاطب البشرية للإقرار بالربوبية له في آيات العهد والميثاق قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172].

ج- العلاقة بين الروح والجسد:

وفي هذا الشأن حول اختلاط الروح بالجسد يرى البوطي أن: الروح منسوبة إلى الله، وهابطة من لدنه إلى الجسد الذي أسكنت فيه، ولكنها حجبت عن أنوار تلك الصفات، من جراء تراكم الآثام وتزايد الغفلات، وامتداد غاشية الشهوات والأهواء على النفس التي تُشكّل حاجزاً بين الروح وتحليلات الصفات الربانية، ولا حيلة للإنسان في معرفة هذا السر.⁵

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحب في القرآن ودور الحب في حياة الإنسان، ط4، دمشق، دار الفكر، 2011م، ص103-104.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل ج3، مرجع سابق، ص13.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا، مرجع سابق، ص296-297.

4- ينظر: الحسين بن محمد الدماغاني، قاموس القرآن، ط4، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، 1983م، ص212.

5- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج3، ص222-368.

ويوضح البوطي هذا المفهوم بأنه: إذا كانت الغريزة الحيوانية من شأنها أن تهبط بالإنسان إلى دَرَكَاتِ التَّصَرُّفَاتِ البهيمية، فإنَّ الرُّوحَ العلوية تَسْمُو به إلى مصاف الملائكة، ويعبّر البيان الإلهي عن هذين العاملين المتناقضين في حياة الإنسان بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: 7-8]، فمصدر الفجور فيه هو الغريزة الحيوانية، ومصدر التقوى هو الرُّوح الهابطة إليه من لدنه، وإنَّ الله إذا ترك الإنسان وشأنه ووكله إلى صراع ما بين هذين العاملين؛ فإنَّ الغلبة تكون للغريزة الحيوانية التي سميت في القرآن بالنفس الأمارة بالسوء، والرُّوح إن لم تلق عناية من مولاهما تخمد جذوتها، ويضعف تأثيرها.¹

ويرى الإمام البوطي في علاقة الرُّوح بالجسد أيضاً: إنَّ أهم ما يجب أن يشغل الإنسان به حياته، العمل الدائب على أن يزيح مما بينه وبين روحه، هذه الحُجُب التي تراكمت على نفسه فأقصته عن مشاعر فطرته الإيمانية، وشغلته عن الإصغاء إلى حديث الرُّوح وحينها إلى عالمها العلوي الذي أهبطت منه لتستقر حبيسةً في هذا الجسد، فلا بد من عقد مصالحة حقيقية بين الرُّوح وأشواقها والجسد وحاجاته، على أن يكون الجسد بكل ما يحتاج إليه في خدمة الرُّوح دون العكس، لأنَّ الرُّوح هي الباقية، والجسد آيل إلى الزوال، وفي يوم البعث والنشور يخلق الله للرُّوح وعاء من جسد جديد، يتفق في إمكاناته، وحاجاته، مع نظام ذلك العالم الجديد.²

د- علاقة الرُّوح بالفطرة الإنسانية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172]، يبيّن البوطي في شرحه للآية بأنَّ الحديث آنذاك³ كان مع الأرواح، التي انسكبت في أجسادها يوم خلقها الله تعالى، ولقد استوعبت الأرواح ذلك الحديث مباشرة، دون احتياج إلى وساطة أذن تسمع أو عين ترى أو دماغ يدرك، وإذا أردت أن تستنهض شيئاً

1- المرجع نفسه، ج3، ص368-369-370.

2- المرجع نفسه، ج2، ص53-54.

3- أي في آية العهد والميثاق والتي دار الحوار فيها بين الله ﷻ، وبين بني آدم عليه السلام ودليله الآية التي بدأنا بها هذا العنصر (كلمة الروح في القرآن الكريم).

من كيانك لِتَذَكَّرَ ذلك العهد، فاستنهض بروحك السارية في كل ذرة من كيانك، ولا تسأل الدار الجسدية، وما من إنسان اخترق حواجز الحُجب التي رانت على نفسه، وسأل روحه عن ذلك العهد القديم، إلاّ وبعثت فيه شُجو من آثار تلك الذكرى، وحدثته عن وقع ذلك الحوار، وأكّدت له نسبتها بالعبودية إلى ذلك الإله الخالق، واشتياقها إلى يوم الرجوع إليه والوقوف بين يديه.¹

وهكذا كان خلق الإنسان من جسد وروح، حيث أنّ للروح أهميّة في كيان الإنسان وتعتبر بمثابة المنبّه للإنسان الذي أراد معرفة خالقه إن أصغى إليها وأزال تلك الحجب التي تمنعه من الوصول لله عَلَّيْكَ.

ثانيا: مظاهر التكوين في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

لقد سبق الحديث عن عنصري التكوين المتمثل في الجسد والروح، وكيف أنّ الله خلق آدم -عليه السلام- ونفخ فيه من روحه تشريفا له وتكريما، وللتكوين خصائص كي يتمكن الإنسان للقيام بالوظائف التي كُلف بها، وإنّ استعراض الآيات القرآنية لاستقراء هذه الخصائص نجد أنّها تتركز على ثلاث نقاط أساسية وهي: (النفس، القلب، العقل)، وكذلك ركّز البوطي في رؤيته الفكرية للإنسان على هذه المعالم الثلاثة، والتي بدورها تساهم في إعطاء إجابة للإشكالية ونفصل ذلك فيما يلي:

1- الحياة النفسية (النفس):

وردت لفظة «النفس» في القرآن الكريم 296 مرة،² وليس بالغريب أن يتحدث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية بهذا الكم الهائل، فهو الكتاب الإلهي الذي يهتم بالتربية الإنسانية ومخاطبة النفس.

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج2، مرجع سابق، ص51-52.

2- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (د.ط.)، القاهرة، دار الكتب، 1944م، ص710-714.

أ- مفهوم النفس عند البوطي:

ويعرّف البوطي النفس بأنّها: مجموعة الرغائب الشّهوانية، الغريزية؛ التي تدفع بالإنسان إلى الاستجابة العلمية لها، فهي وضع كامن في طوايا الكيان، وليس السلوك العملي إلاّ أثرًا من آثار هيمنتها،¹ والنفس غير الروح لذلك نرى أن الآيات القرآنية وهي تتحدث عن النفس، فإنما تعيّن خصائصها وصفاتها ولا يمكن أن نجد هذه الأوصاف للروح لكنهما ترتبطان ارتباط وثيق في الكائن الحي.²

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس:

8 - 8]، أي: ما خلقها عليه من الفطرة المستقيمة، وجعلها قادرة على التمييز بين خيرها وشرّها.³

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ۗ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ ۚ إِنَّ رَبِّيْ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: 53]، أي: إن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات وتأثيرها بالطبع وصعوبة قهرها وكفّها عن ذلك.⁴

ب- خصائص النفس

ويوضّح البوطي بأنّ: النفس البشرية ما تزال في تطلّعاتها وأهوائها، وإذا تُركت حينًا من الزمن دون حراسة من تغذيتها بمشاعر الرغبة في رحمة الله، والرغبة من عقابه، فإنّها سرعان ما

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج2، مرجع سابق، ص70.

2- سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، (د.ط)، (د.ن)، دار الكتاب اللبناني، 1991م، ج1، ص127-128.

3- محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1985م، ج6، ص432.

4- أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، (د.ط)، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1992م، ج6، ص354.

تستيقظ إلى انحرافاتهما، وسرعان ما تعود إليها القوة على التمرد، فتعود صاحبها إلى مطارح الشقاء والهلاك.¹

و لعلّ هذا المعنى استفاده البوطي من المتقدمين، فقد وسّع الحديث فيه أبو حامد الغزالي في الإحياء فيرى أنّ: النفس إذا سكنت تحت الأمر أي أنها رضخت لأوامر الله وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس مطمئنة قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: 27]، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية، سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه، قال الله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: 1-2]، وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحَرَّتْ بِ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53]،² ويؤكد الإمام البوطي حول اضطرابات النفس بأنها: دائمة التقلب في الزمن الذي تعيش فيه، فلا تقيم وزنا للزمن المستقبل وما قد يأتي به، ولا لعلاقة الحال الحاضر به، فإذا ذاقت النفس نعيم الدنيا وعاشت منها في زخارفها ومتعها ومشتهياتها، ركنّت إلى ذلك كله ولم تبلغ عنه تبديلا.³

ج- النفس كأحد دوافع السلوك الإنساني:

يرى البوطي في هذا الصدد بأنه: ينبغي أن نتذكر حقيقة معروفة لدى علماء النفس، وهي من أنّ الإنسان يعيش خاضعا لنوعين من الدوافع: دوافع القناعات العقلية ودوافع الرغبات النفسية،⁴ والإنسان واقع بين هذين الدافعين، والدوافع النفسية أكثر تغلبا على

1- محمد سعيد رمضان البوطي، هكذا فالندع إلى الإسلام، (د.ط)، (د.ن)، مؤسسة الرسالة- مكتبة الفرابي، (د.ت)، ص71، [بتصرف].

2- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج3، ص04.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج3، مرجع سابق، ص50.

4- يقول البوطي: وإنما أعني بدافع الرغبات النفسية، الشهوات، الأهواء، العصبية، الأنانية... أما القناعات العقلية فمعروفة. من كتاب يغالطونك إذ يقولون للبوطي، ص277.

الإنسان من الدوافع، فمثلا تصرفات الناس في الشوارع والميادين... فإذا تأملنا في أنشطتهم المختلفة والدوافع التي تحفزهم إليها، سنجد أن ستين بالمائة من هذه الحوافز هي نفسية، رغبات شهوات أهواء... أمّا صوت العقل، فلا نجد إلا بنسبة ثلاثين أو أربعين بالمائة، فهذه المشكلة قديمة متجددة في حياة الناس جميعا.¹

د- النفس في القرآن الكريم:

والنفس في القرآن الكريم تدل على عدّة معاني من بينها أنها تدل على الذات الإلهية مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: 30].²

وبهذا فإنّ البوطي -عليه رحمة الله- يركّز على تزكية النفس الإنسانية، وكيف يمكن تحريها من الأهواء، كما أن النفس خاصية إنسانية غير الروح وهي في القرآن الكريم إذا امتثلت وأطاعت الله وَجَلَّتْ تكون من صنف النفس مطمئنة، أمّا إذا هي اعترضت للنفس الشهوانية ولامت صاحبها عن التقصير في جنب الله سميت لوامة، بينما إذا أطاعت الشهوات واتبعت سبيل الشيطان سميت النفس بالأمارة بالسوء.

2- الحياة القلبية (القلب):

لقد ورد لفظ «القلب» في القرآن الكريم 112 مرة بصيغ الجمع، ومرة واحد بصيغة المثنى و 19 مرة بصيغة المفرد³ بحيث تطلق عن جوانب كثيرة في النفس البشرية.

أ- مفهوم لفظة القلب عند البوطي:

يرى البوطي في معنى القلب بأنّ: كلمة القلب تأتي بمعنى العقل، وتأتي بمعنى العضلة المعروفة وراء الأضلاع في الجانب الأيسر من جسم الإنسان، وقد وردت في القرآن بالمعنيين: وردت بمعنى العقل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

1- محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، مرجع سابق، ص 270-271.

2- عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1990م، ص 158.

3- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 549-551.

وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ [ق: 37]، وجُلّ المفسرين قالوا المراد بالقلب هنا العقل، ووردت بمعنى العضلة المعروفة وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] والمراد بها ما ينعكس على هذه العضلة من المشاعر العاطفية من حُبِّ، وخوف، وتعظيم،¹

أي: ما يُسمى بالعواطف الدافعة والرادعة والممجة.²

وبالتالي فمعنى القلب عند البوطي عبارة عما يشبه لوحة ذات حساسية دقيقة تسجل وتتجلى عليها المشاعر المختلفة،³ والقلب مهبط الأنوار العلوية، ومهبط التجليات الربانية، وربما تمثل ذلك في العقل الذي هو من أثر تجليات الله على الدماغ، وربما تمثل في العضلة التي وراء الصدر، والتي هي معين العواطف والوجدان.⁴

ويذهب الراغب الأصفهاني⁵ إلى أنّ: القلب سُمِّي قلباً لتقلبه⁶ أي تقلّب ما فيه من المشاعر، والأحاسيس الوجدانية، من حال إلى حال. قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: 37].

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية (شرح وتحليل)، مرجع سابق، ج1، ص168.

2- يقول البوطي: تنقسم العواطف إلى عواطف دافعة وهي الحب والكراهية، وعاطفة رادعة وهي الخوف، وعاطفة ممجة وهي مشاعر الانبهار بالشيء والتعظيم له. من كتاب الحكم العطائية (شرح وتحليل)، ج1، للبوطي ص13.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية (شرح وتحليل)، مرجع سابق، ج1، ص181.

4- المرجع نفسه، ج3، ص48.

*الراغب الاصفهاني: (ت505هـ) "هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الاصفهاني، المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أصبهان، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من مؤلفاته: "محاضرات الادباء"، "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، "الاخلاق"، "المفردات في غريب القرآن"، "تفصيل النشاطين"... وغيرها، توفي سنة505هـ" ينظر: خير الدين الزركلي الأعلام، ط7، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، 1986م، ج2، ص255.

6- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1991م، ص681.

والقلب في القرآن الكريم عالم قائم بذاته، اتسعت معانيه وتعدّدت حتى لم يعد بإمكاننا حصره في المعاني العاطفية وحدها أو في المعاني العقلية، بل إنه يتجاوز هذا الجانب إلى الجانب الآخر¹

ويرى أبو حامد الغزالي أنّ: لفظة القلب تطلق على معنيين؛ أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في جوف الإنسان من جانب اليسار، والثاني هو الروح الإنسانية المتحمل لأمانة الله المتحلي بالمعرفة المركوز فيه العلم بالفطرة الناطق.² فلم يختلف هذا المعنى عن المعنى الذي وظّفه البوطي حول معنى القلب، لكن البوطي كان أكثر تفصيلاً وشرحاً في معنى القلب.

ب- أهمية ووظيفة القلب عند البوطي:

يبين البوطي بأنّ: أساس الإسلام والإيمان الكامل يرتكز في القلب، ولا يعمر الإيمان الحقيقي القلب إلا بعد حُلّوه من الأغيار وانقطاع الشهوات عنه، وتلك هي التزكية، التي تطرقتنا إليها سابق في عنصر تزكية النفس، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 89]³، وهي المقصودة بالصّلاح في قول النبي ﷺ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِعَرَضِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوقِعَهُ ثُمَّ إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مُحَارِمُهُ أَلَا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»⁴ والشاهد هنا في الحديث قول النبي ﷺ أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله أَلَا وهي القلب.

1- محمد علي الجوزو، مفهوم العقل والقلب في القرآن الكريم والسنة، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م، ص187.

2- أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1975م، ص17.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، هكذا فالندع إلى الإسلام، مرجع سابق، ص13 [بتصرف].

4- البيهقي، السنن الكبرى، باب طلب الاجتهاد واجتناب الشبهات، حديث رقم 10400. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م، ج5، ص433.

ويشرح البوطي هذا الحديث الشريف أن: الذي يقود الإنسان في سلوكه، ويدفعه إلى ما يتخيره من الأعمال إنما هو تلك المشاعر التي يستنبطها، ونظرا إلى أن هذه المشاعر إنما تنعكس على القلب كما ينعكس الفكر والإدراك على الدماغ، فقد كان الشأن على الأغلب أن ينسب ذلك كله إلى القلب.¹

ويُفصّل البوطي حول قضية الإيمان القلبي بأنه: إذا استقام الإيمان في الفؤاد تحققت مظاهر الاستسلام في كيان الإنسان لأوامر الله ونواهيه وسائر أحكامه بدون عناء، وإنما يستنفد من الإنسان الجهد تحرير القلب من عوائق الدنيا، والارتفاع به إلى مستوى الطهر والصلاح، حتى ينتهي به إلى حالة لا يغشيه شيء من آفات النفس الأمارة بالسوء، ويعود مرآة يتجلى فيها شهود الخالق وَعَلَيْكَ وحده، فإذا عبده صاحب هذا القلب تجلّى له شهود الحق من مشكاة قلبه فعدا وكأنّه يرى الله.²

ويبيّن البوطي في شأن وظيفة القلب: هو أن يسير وراء هدي العقل، فيُحبّ الخير الذي أثبت العقل أنه خير ويكره الشر الذي أثبت العقل أنه شر، ولا بدّ لعمارة الأرض وتحقيق النظام فيها، من عمل كل من القلب والعقل، فلولا القلب لما وجد الخير إلا في دنيا الوهم، ولظل ببيان الفضائل مجرد رسوم على الورق، وبما أنّ الإنسان خاطبه الله بهذا الدين مؤلف من جهازين العقل والقلب، فخاطب العقل أمرا له أن يتدبّر وخاطب القلب أمرا أن يحبّ ويتأثر وأن يغرس المعتقدات الإيمانية في القلب.³

كما عبّر الإمام البوطي عن وسيلتين أمام الإنسان لإحراز مشاعر الرضى والانشراح في قلبه؛ وإذا تأملت علمت أنه لا سبيل أمام الإنسان لإحراز مشاعر الرضى والانشراح في قلبه، إلا بإحدى وسيلتين:

-الوسيلة الأولى: أن يملك الإنسان طاقة خارقة يبعد بها عن نفسه حديث الفكر وتشويش العقل ومنغصات الخيال، إذ إنّ أكثر ما يصاب به الإنسان من هموم القلب والنفس، إنما بسبب طول التفكير أو تساؤلات العقل، يذكر الماضي فيألم لما قد فاته من مظاهر الخير

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج2، مرجع سابق، ص9.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، هكذا فالندع إلى الإسلام، مرجع سابق، ص14.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج4، مرجع سابق، ص362-363.

وأساببه، ويتخيل المستقبل فيألم من المنغصات وأسباب الآلام، فتتحول بذلك لحظات الحاضر إلى مورد لهموم الماضي ومخاوف المستقبل من أجل هذا، كان الذين يملكون طاقة التحرر من هذا كله هم المجانين فقط، ولذلك كانوا صفوة الناس، وإذا فهذه الوسيلة ممنوعة عن العقلاء، وقد قضى الله تعالى بأن يكونوا أكرم من أن ينزلوا إليها فيفقدوا بذلك المزية التي ارتفعوا بها عن سائر أصناف الحيوانات¹

-الوسيلة الثانية: أن يوقن الإنسان بوجود الله ﷻ، ثم يلقي السمع إلى بيانه عن حقيقة الإنسان وهويته وعن قصة هذه الحياة ونشأتها ومراحلها، وعن مسؤوليته وعن قصة هذه الحياة ونشأتها ومراحلها، وعن مسؤولية الإنسان فيها، فيدرك أنه عبد مملوك لله، ويستيقن وجود الحياة الآخرة وقيمة هذه الحياة الدنيا، ثم يدرك أن الله حكيم عادل، فلا يضيع للإنسان جهداً بذله في سبيل خير، ولا يهمل له حقاً أغتصبه منه ظالم، ولا يترك له أي ظلم اقترفه أو جريمة اكتسبها، بل يقضي بين عباده في ذلك كله يوم الجزاء الموعود، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.²

فهذه هي الوسيلة التي يمكن للإنسان إذا شاء أن يحرز عن طريقها لنفسه مشاعر السعادة والرضى، مهما تقلبت عليه الأحوال والظروف وهي الدواء الوحيد الذي وضعه الله تعالى علاج للإنسان، للتخلص من هذه المشكلة التي يسأل عنها ويبحث عن خلاص منها.³

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الوسيلة بحديث يقول فيه: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَّاءُ شُكْرٍ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتُهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» .⁴

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان وعدالة الله في الأرض، ط1، دمشق، (د.د)، 1391هـ، ص6-7.

2- المرجع نفسه، ص7.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- مسلم، الصحيح، باب المؤمن كله خير، حديث رقم 2999، مصدر سابق، ج4، ص 2295.

ج- مركزية القلب وأثرها في السلوك:

يبين البوطي بأن مصدر العواطف الإنسانية؛ تنحصر في الأصول الثلاثة التالية:
1/ عواطف دافعة: كالفرح والأمل والرغبة 2/ عواطف رادعة: كالخوف والرغبة والإشفاق 3/
عواطف ممجدة: كالإعجاب والحب والتقديس.¹

وإذا تأملت في مختلف المشاعر الوجدانية في حياة الإنسان، أدركت أنه ما من معنى عاطفي إلا ويعود نسبه إلى واحد من هذه الأصول الثلاثة، وكتاب الله يجذب أفئدة الناس بقوة وجدانية، بعد المحاكمة العقلية والعرض المنطقي، مكونة من هذه الأصول الثلاثة في اعتدال وتكافؤ دائبين، فلا نجد في القرآن آية تسلم الإنسان إلى رهبة أو تنمية ببشارة صافية عن شائبة الخوف، بل إن من القواعد الكلية في كتاب الله أنه لا يذكر الإنسان بشيء من صفات السطوة لله تعالى إلا ويذكره إلى جانبها بصفات الرحمة والغفران.²

كما يوضح البوطي بأنه: يتجلى على القلب الإنساني حنينه الفطري إلى الله تعالى واستثناسه بمشاعر عبوديته الصافية عن الشوائب لله، فإذا نشأ محصنًا ضد التوجه إلى مطاعم الدنيا بكل ما فيها من زخارف، ازدادت مرآته صفاء، وازدادت التجليات الفطرية عليها وضوحًا ولم يعد فيه متسع إلا لمشاعر حبه لله وتعظيمه له ومحافته منه وحنينه إليه.³

ويؤكد البوطي بأن: الكيان الإنساني يحوي طاقة علوية تتجه بالحب والحنين إلى الملاء الأعلى، وتتمركز هذه الطاقة في الروح التي تعكس إيجاباتها إلى القلب إلا أنه في الوقت ذاته يعاني من ضعف آت من تسلط العوامل الغريزية، والشهوانية، والوساوس الشيطانية، ومحدودية الطاقة الجسدية، فينشأ التناقض عندئذ بين الطاقة الروحية التي يترجمها القلب إلى مشاعر الحب والخوف والتعظيم، والضعف الطبيعي الذي تترجمه الغرائز والأهواء والشهوات.⁴

1- كذا قد تطرقنا لهذه الجزئية في شرح عنصر دوافع الإنسان النفسية.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 82-85.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج 2، ص 176.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، المرجع السابق، ج 2، ص 209.

د-القلب من خلال القرآن الكريم

يذهب البوطي إلى أن: القلب في القرآن الكريم ورد على معنيين معنى العقل، وورد بمعنى السر المنعكس على عضلة القلب، والواضح أن قسوة القلب وخشوعه من عوارض القلب لا العقل.¹ ونظرا لاتساع معنى القلب وعمقها، سنقف أمام نموذج واحد من القرآن الكريم ومدلولها في الآية:

-قد ترد لفظة «القلب» معنى العقل في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 179]، أي: لا يفهمون بها الحق، والقلب هنا هو الذي يسمونه أحيانا "الضمير"، ويراد به العقل أو الوجدان أي محل الحكم على الأشياء المدركة، وسبب هذا الاستعمال أن آثار الأحداث من خوف أو سرور تنعكس عليه، فيحدث الانقباض أو الانسراح، وكثيرا ما يستعمل في القرآن بمعنى دقة الفهم، والتعمق في العلم".²

وتستعمل كلمة القلوب في القرآن الكريم مصادر للإدراكات العقلية كما ها هنا، ومن المعروف طبيا أن مراكز معينة في المخ، هي موطن العقل.³

3-الحياة العقلية (العقل):

إنّ دعوة القرآن الكريم للنظر العقلي دعوة صريحة لا تقبل التأويل، حيث جاء الحديث عن العقل ومشتقاته في العديد من الآيات، فورد لفظ العقل في القرآن 49 مرة.⁴

1- المرجع نفسه، ج4، ص67-68.

2- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1997م، ج09، ص166.

3- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، (د.ن)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1973 م-1993 م، ج3، ص1242.

4- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص468-469.

أ- معنى العقل عند البوطي:

يبين البوطي معنى العقل بأنه: سرّ يتجه إلى الدماغ ويشرق عليه فتتم بذلك عملية الإدراك. والإدراك الذي هو وظيفة العقل، لا ينبثق من داخل الدماغ أو من حجراته، إنما ينعكس ويظهر عليه بفعل هذا السر الرباني الذي يشرق عليه.¹

إذن فالعقل في حقيقته ليس إلا نورا ربانيا يشرق على الدماغ فيتحقق من ذلك الإدراك الذي هو وظيفة العقل.

ب- أهمية العقل:

كما يوضح البوطي هذه الأهمية: اقتضت سنة الله في عباده أن متّعمهم بالعقل، ووضعهم بين جواذب مما يمليه العقل ويفرضه الرشد، وجواذب مما تدعو إليه الحظوظ والأهواء، وأقدرهم عن طريق الإرادة التي متّعمهم بها على الاختيار واتخاذ القرار، وذلك هو معنى قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: 8-10]² أي: بينا له سبيل الحق والباطل، وعرفناه طريق الخير والشر،³ والحكمة من ذلك أن يكون انقياد الإنسان لأوامر الله مصحوبًا بجهد يستأهل عليه الأجر، وإنما الجهد أن يقتحم عقبة هذا الصّراع ويجتازها إلى تنفيذ أمر الله.⁴

ج- العقل من خلال القرآن الكريم:

العقل في القرآن الكريم يُطلق على معنيين: الأول: القوة المتهيئة لقبول العلم ، أما الثاني: العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة أي: (المقصودة في المعنى الأول)، بالتالي كل موضع دُمّ فيه الكفار لأنهم لا يعقلون،⁵ وتكليف الإنسان إنما يكون بعد البلوغ حيث يكون قد

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج2، مرجع سابق، ص283.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان مسيرٌ أُمّحَيّرٌ، مرجع سابق، ص33.

3- أبو الحسن الشافعي، التفسير البسيط، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1430، ج23، ص17.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان مسيرٌ أُمّحَيّرٌ، مرجع سابق، ص33 [بتصرف].

5- عماد الراعوش، العقل في القرآن وأثره في التفسير، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص23-24.

حصل على المعلومات الكافية لمعرفة الواجبات¹ لقول النبي ﷺ: «رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن النَّائم حتى يستيقظَ، وعن الصَّبِيِّ حتى يَحْتَلِمَ، وعن المجنون حتى يَعْقِلَ»².
كما أنّ الدِّينَ الحنيف أنزل هاديا للعقل في جميع الأمور التي لو تُرك العقل وشأنه فيها ضلّ وعجز عن الوصول إلى الحقيقة، وهذه الأمور هي: العقائد والمبادئ الأخلاقية والتشريع³.

د- وظيفة العقل:

يرى الإمام البوطي أنّ: العقل وظيفته أن يُقبِلَ على الأشياء فيدركها على حقيقتها، والقلب يسير وراء هدي العقل، فيُحب الخير الذي أثبتته العقل أنّه خير، ويكره الشر الذي أثبتته العقل أنّه شر، فلا بدّ من عمارة الكون على الوجه السليم، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس بخفقات القلب وعواطفه الإنسانية، ولتلاقى السّفَل على إيقاد الشر يُفسد كل شيء⁴، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: 71]، أي: ولو كان الحق الذي كرهوه موافقا لأهوائهم الباطلة لخرجت السموات والأرض ومن فيهن عن الصلاح والانتظام بالكلية، بل "أتيناهم بذكرهم" أي: بل جنناهم بالقرآن الذي فيه شرفهم⁵، لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الصفات: 168 - 169]، أي: بالنكوص عنه⁶.

- 1- عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص245.
- 2- أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، حديث رقم 4403، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، ط1، (د.ن)، دار الرسالة العالمية، ج6، ص455.
- 3- عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل، ط4، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص28.
- 4- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج4، مرجع سابق، ص362.
- 5- محمد بن عمر نووي الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ، ج2، ص92.
- 6- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ، ج7، ص297.

وهل بوسع العقل أن يصل إلى يقين عن نشأة الإنسان وأصله، ومصيره، والكثير من القضايا الغيبية الكامنة في ذاته والمحيطه به؟

يجيب البوطي بقوله: "نعم؛ بوسع العقل أن يصل إلى هذا اليقين، في كل عصر مهما اختلفت الاصطلاحات وتنوّعت الحضارات، إن تهيأ له المنهج المنطقي السديد، لذلك يحيل القرآن الإنسان في معرفة قضايا الطبيعة، وكل ما هو من جنس المادة إلى المنهج الحسي دون أن يلقيه أي علمي غيبي أو إخباري بشأنها"¹ فهو يقول له مثلاً عن الإنسان وتكونه وأجهزته: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] ويقول له عن الطبيعة وأشياءها المبتوثة من حوله: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، دون أن يلزمه بأي اعتقاد في شيء من شؤونها، لأن ذلك المنهج خاضع للتجربة الاستقرائية والمشاهدة.

ويبين البوطي أيضاً بأنّ: العقل لا يتردد في الإيمان بوجود مدبر للكون ومالكه، فهل يسعنا أن نتساءل عن وظيفتنا في هذا الوجود؟ وإذا تساءلنا عنها، فهل يسعنا أن نتصور أن ليس لنا أي وظيفة، وهل يصدق العقل أن لا شأن لنا في الدنيا إلا ما هو شأن الدواب والحيوانات الأخرى نصرح ونمرح بين المأكّل والمشرب والملبس والمنكح، حقبة قصيرة أو طويلة من الزمن حيث يلتقنا بعد ذلك جوف الهلاك والموت؟ وهل كان ما يمتاز به الإنسان عن سائر المكوّنات الأخرى وهو العقل الذي يستجلي أغوار الكون بمظاهره المختلفة، مجرد ظاهرة صادف أن امتاز بها على غيره، ثمّ هي لا تعني شيئاً أكثر من ذلك.²

ويرى البوطي أننا: إذا رجعنا إلى المخزون العقلي للإنسان؛ نجد أنّ في خزانة عقله يقينيات كثيرة يجزم بها دون أن يراها أو يحس بها، مثل أحداث تاريخية كثيرة وقعت، يجزم بالعصر الجاهلي، يجزم بوجود شخص اسمه محمد أيّا كانت هويته، يجزم بالثورة الفرنسية... وإذا عدّنا الأشياء التي تجزم بها عقولنا فستفوق الحصر.³

1- محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتهم، مرجع سابق، ص 122.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص 179.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، مرجع سابق، ص 143.

ويستنكر البوطي عن الخليقة الإنسانية التي لم تمتد إلى سبيل الحق بنعمة العقل: فيا عجباً للخليقة الإنسانية التي متعها الله بالعقل والرشد وفضلها على كثير ممن خلق، كيف يكون فيها كثير ممن لم يستفيدوا من عقولهم وعاشوا محجوبين عن الله بغير حجاب، في حين أن سائر المخلوقات الأخرى نعمت بلذة ظهور الله لها، ثم نعمت بولائها لسلطانه وسجودها الدائم لذاته العلية.¹

وعليه فإنّ العقل البشري يمكن أن يؤدي وظيفته الكاملة إن تحرر من الشوائب والأحكام السابقة حول هذا الكون وما فيه، وعليه يمكن الاهتداء إلى وجود الله ﷻ كما يقول البوطي، وبهذه الخصائص التكوينية الثلاثة (النفس، القلب، العقل)، التي خلقها الله للإنسان تكريماً له وتشريفاً، يكون الإنسان مخلوق مميّز من أجل أداء الوظيفة والمهام التي كلفه بها الله ﷻ في هذه الأرض، وسيأتي لاحقاً تفصيل ذلك في المبحث الأخير الموسوم بخلافة الإنسان ومصيره في اليوم الآخر.

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج1، مرجع سابق، ص232.

المبحث الثالث: خلافة الإنسان ومصيره في اليوم الآخرى عند البوطى

✓ المطلب الأول: وظيفة الإنسان ومسؤوليته فى فكر البوطى

✓ المطلب الثانى: جزاء ومصير الإنسان الآخرى فى فكر

البوطى

خلافة الإنسان ومصيره الآخروي في فكر البوطي

بعد أن خلق الله تعالى الإنسان من جسد وروح زوّده بمدارك جعلت منه كائناً متميزاً دون سائر مخلوقات الله، ولم تنته مهمّة الإنسان إلى هذا الحد بل أمره الله ﷻ عن طريق الوحي المنزل على الأنبياء للبشرية بأنّه مخلوق مكلف ومَنوط بمسؤوليات ووظائف لهدف أسمى؛ وهو عبودية ووحداية الله ﷻ، حيث أرشده إلى ذلك بمثابة قانون ودستور لنيل سعادته في الدارين؛ ورسم له رحلته في هذه الدنيا، وبيّن له أنّه هناك جزاء ومصير في اليوم الآخر بما كسبت يده، وفي هذا المبحث نخصّص له مطلبين، نتناول في الأوّل دور الإنسان الاستخلافي، ثمّ نتلوه بمطلب ثاني يتعرّض للجزء المقابل للوظيفة.

المطلب الأول: وظيفة الإنسان ومسؤوليته في فكر البوطي

اقتضت حكمة الله ﷻ في أن خلق الإنسان في هذه الأرض وجعله خليفة له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30] وفي اللغة العربية يُقال: خلف الرجل يخلف خلافة وخليفي؛ أي: صار خليفة¹ ويقال: خلف فلان فلانا، أي: كان خليفته² لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْ فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: 142] والله ﷻ كلف الإنسان بوظائف ومسؤوليات لأجلها خلق، بل إن تسمية هذا الكائن الجديد في سياق الإخبار بخلقه كانت تسمية بحسب وظيفته وهي الخلافة، وما زال القرآن يعظم هذه المهمة ويبين محتواها.³

1- أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992م، ج2، ص192.

2- الجوهري، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، بيروت، دار الملايين، (د.ت)، ج4، ص1356.

3- عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1987م، ص63.

يرى البوطي في معنى الخلافة أنّ: الإنسان في القرآن أخيراً عبداً لله، خلُق ليكون مظهراً لإلهية الله ﷻ وما صفة الخلافة فيه، وتكرمه على سائر المخلوقات، وتسخير الكون له إلا وسيلة لأنّ يحقق عبوديته لله تعالى بالكسب والممارسة والاختيار كما خلقه عبداً له بالجبر والاضطرار.¹

كما جعل الله للإنسان في هذه الدنيا وظيفتين؛ إحداهما مشتركة بين الإنسان والجن؛ وهي عبادة الله وامتحان الإنسان فيها، والوظيفة الثانية تختصّ بالإنسان وهي السعي لعمارة الأرض، لكن يجب أن تكون هناك عناصر لا بد أن تتوفر في الإنسان حتى يكون أهلاً للتكليف، وبداية لا بد أن نوضّح ونعرّف معنى التكليف لأنها خاصية إنسانية ميّزها الله تعالى للإنسان دون بقية الكائنات الأخرى وكون المسألة تطرّق إليها البوطي ووضّحها:

أولاً: التكليف

1- من الناحية الاصطلاحية:

يُعرّف البوطي التّكليف بأنّه: كل ما يطلبه الله من عباده، من خلال الشرائع والأحكام التي يخاطبهم بها، مردّه إلى تحقيق ما فيه خيرهم وسعادتهم في عاجل أمرهم وآجله، فما يكلف الله عباده، أمراً أو ناهياً بشيء إلاّ وفي ذلك التكليف خير لهم، فإنّما أن يكون مردّد ذلك الخير إلى الأفراد ومصالحهم الشخصية، وإنّما أن يكون مردّه إلى الهيئة الاجتماعية، وما ينبغي أن تكون عليه علاقات الناس بعضهم مع بعض.²

كما يشرح البوطي هذا المعنى: خلق الله الإنسان وفضله على سائر خلقه بالتكليف وتوجّه إليه بالأمر والنهي وطلب الفعل والترك، وجعل لكل فعل من أفعاله حكماً شرعياً يجب عليه امتثاله والعمل بمقتضاه.³

1- محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1999م، ص226.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج2، مرجع سابق، ص457.

3- محمد سعيد رمضان البوطي وآخرون، أصول الفقه الإسلامي، (د.ط)، (د.ن)، وزارة الأوقاف السورية، 1989-1990م، ص25.

2-التكليف من الناحية الأصولية

هو "إلزام الله ﷻ العبد ما على العبد فيه كلفة".¹ فأدرجنا هذا العنوان لأن لفظة التكليف ضمن علم الأصول، ولكن نظرا لارتباطها ببحثنا حول وظيفة الإنسان وجدنا أنّ إدراجه في هذا الصدد، مهمّ وضروري لتبسيط معنى التكليف.

ولا يخرج عن عهدة هذا التكليف كما يرى البوطي: إلاّ طفل صغير، أو فاقد وعقله، أو إنسان عاش في بيئة لم يتسامع فيها باسم الدّين، ولم يلقه فيها مرشد أو نذير، فهذا وأمثاله يصدق عليهم² لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: 15].

-والفرق بين التعريفين؛ أنّ تعريف البوطي لمصطلح التّكليف أكثر شرحًا، وأوضح معنى، ويركّز على كون التّكليف يجلب المنفعة الشخصية والاجتماعية، بينما التعريف من الناحية الأصولية موجز مختصر، ويمتاز بالدقّة.

3-عناصر وشروط التّكليف:

يطرح الإمام البوطي سؤال مع الإجابة عليه:

ما هي العناصر أو الصّفات التي لا بد أن تتوفر في الإنسان حتى يتحقق فيه معنى التّكليف؟ ويجب -رحمه الله- بالعناصر التالية:

(1) الخطاب الإلهي عن طريق الأنبياء إلى الإنسان فلولا ما تحقق العلم بأنّه مكلف

(2) التمكن من القيام بالمطلوب تصورا وفهما ومعتقدا

(3) امتلاكه الخيار في أن يستجيب أو لا يستجيب لله تعالى أي الحرية.³

لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2].

هُدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

1- أبو المعالي الجويني، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، (د.ط)، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1996م، ج1، ص134.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، من أسرار المنهج الرباني، مرجع سابق، ص1.

بعد ما تطرقنا إلى معنى التكليف وشروطه لا بد أن نعرج على وظيفة ومسؤولية الإنسان المكلف في الحياة الدنيا، والتي تنحصر في عبودية الله ﷻ وعمارة هذه الأرض وبدورها تساهم في إعطاء لنا إجابة للإشكالية المطروحة.

ثانياً: العبودية في فكر محمد سعيد رمضان البوطي:

إنّ الإنسان عبداً مملوكاً لله ﷻ مؤمناً كان أو جاحداً أو ملحدًا، ودليل ذلك حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي فِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي حَلَالٌ. وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ...»¹ إلى آخر الحديث، والشاهد هنا أنّي خلقت عبادي حنفاء، وقوله: «حنفاء» جمع حنيف، فالحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه.² وممارسة الإنسان لعبوديته لله هي مفتاح سعادته في الدنيا والآخرة.

1- معنى العبودية والفرق بينها وبين العبادة عند البوطي:

يفرق البوطي بين العبودية والعبادة فيرى أنّ: العبودية؛ يراد بها الوصف الثابت المستكن في الفطرة الإنسانية، والمعبر عن منتهى الخضوع والضعف تحت سلطان قوة قاهرة غير محدودة، بينما العبادة؛ هي التعبير عن ذلك الوصف المستكن في الفطرة بالطاعة السلوكية، في أوامر لا يراد من تنفيذها إلا التلبية بدون أي نظر إلى مصلحة قد تستتبعها.³ والعلاقة بينهما تكاملية لأنه كلما تقرب العبد إلى الله، كلما كان تحققه بمعنى العبودية له، وإنما شرعت العبادات وسيلة إلى ذلك.

بينما يعرفها ابن تيمية فيقول: "العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد

1- الإمام أحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم: 17484، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و آخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م، ج29، ص32.
2- أبو محمد الحسين الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، ط2، دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403 هـ - 1983 م، ج14، ص408.
3- محمد سعيد رمضان البوطي، التعرف على الذات، ط2، دمشق، دار الفكر، 1982 م، ص83-84.

للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك هي من العبادة لله¹.

والعبودية هي الحالة التي يُحِبُّ الله ﷻ أَنْ يراها متمثلة في عباده، وعلى قدر تمثلها فيهم يكون رضاه عنهم وقربه منهم، والعبودية لا تتغير منذ بدء الخليقة وهبوط آدم عليه السلام على الأرض، وحتى قيام الساعة فإن المطلوب من الإنسان في كل زمان ومكان أن يكون عبداً لله ﷻ². قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﷻ﴾ [البقرة: 21].

كما يؤكد البوطي في كثير من الموضع بأن: العبودية هي المهمة التي كلف الله الإنسان بالنهوض بها من خلال القيام بعمارة الأرض، وإقامة مجتمع إنساني متآلف واحد³. ويندرج ضمن العبودية مسائل أهمها:⁴

(1) أن العبودية لله هي غاية جميع الرسالات لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﷻ﴾ [الأنبياء: 25]

(2) أن العبودية مقام تشريف وتكريم؛ لذلك وجدنا أن الله تعالى ينعت رسوله ﷺ بالعبودية وهو في أكمل أحواله في ليلة الإسراء والمعراج قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﷻ﴾ [الإسراء: 1].

(3) الصلة بين العبودية والحرية فكلا المعنيين يُكْمَلُ أحدهما الآخر فالعبودية لله تعني أن يصبح الإنسان حراً من نزوات نفسه، طليقاً من أسار المادة وإغرائها.

وكلّ هذا التفصيل حول معنى العبادة وماهيتها نظراً لارتباط هذه الجزئية بمبحث الإنسان من ناحية وظيفته التي من أجلها خلُق، وكون الإنسان فُطِرَ لذلك، وما من إنسان إلا ومغروس فيه التوجه نحو العبادة لله ﷻ تكريماً وتشريفاً له، وهذا ما قد أوضحه البوطي في تعريفه

1- ابن تيمية، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط07، بيروت، المكتب الإسلامي، 2005م، ص44.

2- مجدي الهلالي، حقيقة العبودية، (د.ط)، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، (د.ت)، ص09-13.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، مدخل إلى فهم الجذور، (د.ط)، دمشق- سوريا، دار الفكر، (د.ت)، ص77.

4- محمد عقله، الإسلام حقيقته وموجبه، (د.ط)، الجزائر، شركة الشهاب، (د.ت)، ص60-61.

للعبودية، مع ترك حرية الاختيار للإنسان في أن يختار ما يشاء، وهذا ما سنوضحه في العنصر الموالي.

2- مجال العبودية:

ترك الله ﷻ حرية الاختيار للإنسان يرى البوطي: والإنسان هُدي إلى المهمة التي خُلق من أجلها، وقد قضى الله ﷻ أن يخلقه مختار ذا حرية وإرادة وأن يدعى بعد ذلك إلى أداء وظيفته من خلال حريته واختياره دون أن يكون للغريزة سلطان قاهر عليه، وذلك تكريماً وتنزيهاً له، أن يساق كالحوانات العجماوات إلى وظيفته بعصا الغريزة، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمارس وظيفته من خلال حريته ومدى رغبته، فظروف الإعراض عنها كظروف الإقبال إليها سانحة.¹ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: 18].

ويزيد البوطي شرحاً فيذهب أنه: كان لا بد لعنصر الحرية أن يصاحب واقع التكليف، وبذلك يتضح الانسجام الكامل بين كون الإنسان عبداً مملوكاً لله، ومكلفاً، وبين كونه حراً في الوقت ذاته، أي ممكناً من فعل ما يشاء، والقرآن مليء بالآيات الصريحة في بيان أنّ الإنسان يملك في هذه الدنيا كامل حريته في أن ينصاع أو لا ينصاع لأوامر الله ﷻ،² من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴿٢٩﴾ [الكهف: 29] وقوله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴿٢٥٦﴾ [البقرة: 256].

والعقيدة الإسلامية بيّنت الحكمة من خلق الإنسان التي هي عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56]، وبالتالي خلق الإنسان ليس

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج1، مرجع سابق، ص85-86.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص51.

خلقا عبثيا وإنما من أجل النفع بالثواب الذي يناله العبد في اليوم الآخر¹ لقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

وقد أشار ابن عاشور إلى هذا المعنى في تفسيره بالقول: "فلا جرم أنّ الله أراد من الشرائع كمال الإنسان وضبط نظامه الاجتماعي في مختلف عصوره، وتلك حكمة إنشائه. فاستتبع قوله: (إلا ليعبدون) أنه ما خلقهم إلا لينتظم أمرهم بوقوفهم عند حدود التكاليف التشريعية من الأوامر والنواهي".²

والنّاظر في القرآن الكريم لا يعدم ظفرا بوجه من الحكمة في خلق الإنسان، فمنذ البداية كان الإعلان الإلهي بخلق هذا الكائن الجديد مصرّحا بوجه من وجوه الحكمة من خلقه وهو الخلافة في الأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، فالتصريح بالخلافة مقترنة بالخلق فيه قرينة على أنّها وجه من وجوه الحكمة من خلق الإنسان.³

ويذهب البوطي بأنّ: الإنسان إذا أصغى إلى حديث القرآن عنه أدرك ذاته وعرف أنه مخلوق وأنه منفعل بطاقات وقدرات أفرغت فيه وليس مالكا لها، فلا بدّ له أن يبحث عمّن ملأ كيانه وسيهديه البحث إلى الله عَلَيْهِ. وهنا ينتبه الإنسان إلى نوع العلاقة التي تربطه بخالقه؛ إنّها علاقة عبودية متجهة من المخلوق إلى الخالق وإذا أدرك الإنسان حقيقة هذه العلاقة بينه وبين خالقه، تهيأ بكل مداركه ومشاعره للتعرف على الوظيفة التي خلق لأدائها، فإنّ خالقه لا يعث ولا بدّ أنّه خلقه لحكمة، ولا بدّ أن مهمّة قد وُكِّلت إليه.⁴ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٥]

1- عبد المجيد النجار، الشهود الحضاري للأمة الإسلامية (فقه التحضر)، مرجع سابق، ص 86.

2- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (د.ط)، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م، ج 27، ص 27.

3- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، مرجع سابق، ص 59-60.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا، مرجع سابق، ص 190-191.

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: 15-16].

ومعنى الآية التي حددت الحكمة من خلق الإنسان يقول الشافعي -رحمه الله- شارحا: قول الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] أي "خلق الله الخلق لعبادته يعني ما شاء من عباده أو ليأمر من شاء منهم بعبادته ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".¹

والحاصل أن الله تعالى خلق الخلق واستخلفهم في الأرض ليس عبثا بل ليعبدوه، وترك لهم حرية الاختيار فإن هم امتثلوا لأوامره نالوا السعادتين، وإن أبوا سيلقون العذاب والشقاء.

3- ثمرة العبودية لله ﷻ وواجب الإنسان في الدنيا:

يرى البوطي في هذا الصدد أنّ: الإنسان عندما يُوفَّق للعمل الصالح، يؤدي بذلك جزءا يسيرا من عبوديته لله ومن حقوق النعم التي أعدها الله عليه في الدنيا، فإذا كان هذا الإنسان على الرغم من طاعاته التي وفق لها، لا يزال تحت حقوق الربوبية لله والنعم التي امتن الله بها عليه، فأثى له يطالب الله أن يكرمه مقابل ذلك بجنان خلده وبأن يضيف إلى نعمه الدنيوية التي لم يؤدِّ بعد حقوقها النعم الآخروية التي وصفها في محكم تنزيله، والإنسان بعد أن عرف الله وأدرك أنه عبد له يجب عليه أن يعبد لأن الله ربّه سواء أثاره الله على عبادته أم لم يثبه، ثم إنَّ عليه أن يسأله جنّته تفضلا منه، وأن يستعيد به من ناره وعذابه، وتلك هي سيرة الرسول ﷺ في دعائه.²

ويبين البوطي بأنّه: لا يتحقق الإنسان بمعاني عبوديته لله إلا بأن يمد الطلب والاستجداء إليه، فيسأله من كرمه وجوده، ويستعيد به من سخطه وعذابه، ولكن العبد إذ ييسط كفه إلى الرّحمن يسأله جنّته ويستعيد من عذابه، يجب أن يفعل ذلك طمعا بفضله وغفرانه وأملا أن يتجاوز الرب عن سيئاته فيعامله بما هو في شأنه -جلّ جلاله- من الصفح والغفران ولا يعامله بما هو أهل له من العقاب، ومهما كان العبد في استقامته وقربه من الله فما ينبغي أن يكون

1- البيهقي، السنن الكبرى، باب مبتدأ الخلق، رقم 17487. مصدر سابق، ج09، ص03.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج1، مرجع سابق، ص36-37.

دعاؤه إلا على هذا الوجه.¹ وهذا المعنى يدخل ضمن أدب الإنسان مع ربه، فهو خالقه وعليه أن ينقذ أوامره.

كما يرى البوطي موضحاً عجز الإنسان في هذه الدنيا: إنَّ المطلوب من الإنسان في حياته التي يعيشها فوق هذه الأرض أن يعلن عن عبوديته التامة لله ولن يتأتى له أن يترجم إعلانه هذا إلا بيقينه بأنه كتلة عجز وفقر تحت سلطان الله ولا وجود له ولا حراك ولا فعل إلا بحول الله وقوته ومن ثم يسوقه هذا اليقين إلى الوقوف الدائم على باب الله فتلك هي عبودية التي يجب على الإنسان أن يصطبغ بها، والغاية التي بها يستجيب لأمر الله.² لقوله تعالى:

﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: 50].

أما واجب عباد الله في الدنيا، تحقيق أمرين كما يرى البوطي: أوْلهما التمسك بالإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح، وثانيهما سلوك السبيل الشاقة إليه واقتحام المخاطر وبذل المال من أجل تحقيق ذلك، أي أنّ الله كلّفنا بالإيمان بالغاية، وكلّفنا إلى جانب ذلك بسلوك الوسيلة الشاقة إلى هذه الغاية مهما بلغت المسألة في خطورتها وصعوبتها.³ لأنّ أول صفة للإنسان في الدنيا أنّه مكلف، ومطالب من قبل الله بحمل ما فيه كلفة ومشقة.

ويرى البوطي أنّ: الإنسان حُلق فوق هذه الأرض ليقوم عليها دولة الله وحكمه، فتلك هي حكمة وجوده، وفلسفة هذه الدولة قائمة على حقيقة العبودية لله ونظامها قائم على الإذعان بأن الحاكمية لله، لأنه وحده مالك الإنسان وكل شيء وأنه هو قيوم السماوات والأرض.⁴

1- محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي، ط14، دمشق، دار الفكر، 2010م، ص211-212.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، لا يأتيه الباطل، مرجع سابق، ص52-53 [بتصرف].

3- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص78.

4- المرجع نفسه، ص253.

إذاً قضت مشيئة الله ﷻ أن يقيم خليفة له في الأرض، يعمرها على النهج الذي يرتضيه وطبق الشريعة التي أوحى بها إليه، بموجب عقد واختيار، لا بسائق قهر واضطرار، فيكون ذلك العمران مظهراً من مظاهر ربوبية الله وحكمته وعدله ثم ليجزيه بعد ذلك الجزاء الأوفى، إن هو أحسن الخلافة ووفى العهد ونفذ الأمر.¹

2- وظيفة عمارة الأرض:

والوظيفة التي أقام الله الإنسان عليها يقول البوطي: هي أن ينهض بعمارة الأرض التي أحيها على النحو الذي بينه وشرعه طبقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكَ فِيهَا فَاسْتَعْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61]، واتباعه في ذلك للنهج الذي شرّعه الله تعالى يحقق أمرين: أحدهما ممارسة العبودية لله بسلوكه الاختياري كما قد خلق عبداً له بواقعه الاضطراري كما سبق ذكر ذلك، ثانيهما أن الأرض تُعمر عندئذ عمراناً مادياً وحضارياً على وجه سليم يسعد الناس، ويمد فيما بينهم جسور الود وينتشر فوقهم مظلة العدالة والأمن.²

ويوضح البوطي في بيان المهمة التي أوجد الله الإنسان ليستخلفه في الأرض والنهوض بها: تتلخص في تنفيذ مبادئ العدالة الإلهية وما تقتضيه الحكمة الربانية فيما بين الناس في الأرض، وشاء ﷻ أن يضع فيما بينهم موازين العدالة وشرائع الحكم وسبل الحكمة، وأن يبصرهم بها ويعرفهم على أهميتها، وأن يهبهم قدرة التصرف بالاختيار كما يشاؤون، ثم أمرهم بأن يوجهوا اختياراتهم باسمه إلى تنفيذ شرائعه فيما بينهم، وإلى أن يتبعوا حكمته في تسخيرهم المكونات التي من حولهم والتي أخضعها لسلطانهم.³

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج2، مرجع سابق، ص147.

2- المرجع نفسه، ج1، ص87.

3- المرجع نفسه، ج3، ص161-162.

إذن فالمسلم عندما ينهض بواجباته التي كلفه الله بها إلا لأتته موظف، كلفه الله أن يستغل الأرض، وأن يخرج منها من خيرات ومعادن، وأن يجاهد عن الحق وأهله وهكذا سائر الوظائف التي يقوم بها المسلمون الصادقون إنما يقومون بها تنفيذاً لأمر الله وتطبيقاً لمعنى العبودية لله ﷻ.¹

3- تمكين الإنسان من تسخير الكون ودوره لعمارة الأرض:

يرى البوطي أن: الله ﷻ لما شاء أن يختاره لعمارة الأرض وكلفه بتأليف الأسرة الإنسانية تقف تحت سلطان العبودية لله، وتقيم حياتها على منهج الشريعة لتكون بذلك مظهراً لعدالة الله في الأرض، جهّزه بملكات وصفات سامية، فأورثه العقل والتفكير وسخر له كثيراً من الحيوانات والمخلوقات وغرس في كيانه شعور حبّ الذات وأمدّه بالقوة، هذه الصفات أنعمه الله بها ليستعين بها في أداء رسالته وتيسر له السبيل إلى تحقيق خلافته على الأرض، فينشئ فوقها الحضارة الإنسانية التي حمّله القرآن مسؤولية إنشائها.²

أ- تذليل الحيوان:

يذهب البوطي إلى أن: الله ﷻ سخر له الموجودات، وجعلها مدلّلة لخدمته من بينها الحيوانات؛ فيرى الناس خضوع أقوى الحيوانات للإنسان إذ يسوق الطفل الصغير البقر العاتية والبغل الشرس وأمثالهما من الدواب التي أخضعها الله له بكل طمأنينة وأمان،³ وذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ۗ وَذَلَّلْنَا لَهُم مِّنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُوتُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: 71-72]، ولو لم يذلّل الله لنا الأنعام والأشياء لتنفعل لنا ما استطعنا أن نملكها، بدليل أن الله تعالى قد ترك أشياء لم يذلّلها لنا حتى نتعلّم أننا لا نستطيع ذلك، لا بعلمنا، ولا بقُدْرَتنا، إنما الحق سبحانه هو الذي يُذلّل.⁴

1 - محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، مرجع سابق، ص 192-193.

2 - محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام، (د.ط)، (د.ن)، دار الفكر، (د.ت)، ص 44.

3 - محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان مسيرٌ أم مخيرٌ، مرجع سابق، ص 191.

4 - محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، (د.ط)، (د.ن)، مطابع أخبار اليوم، (د.ت)، ج 10، ص

ب- تذليل الأرض:

يرى البوطي أنّ الله ﷻ ذلّل الأرض وتربتها له؛ فهي سلسلة لا تنتهي من الأقوات والثمار، والفواكه، والأعشاب المتنوعة التي بُثت فيها الأدوية الناجعة لسائر الأمراض، ثم وُزع الله تعالى مواقيت هذه الثمار¹ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ² انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ³ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام: 99].

كما يرى الشيخ البوطي أنّ: الله يوجه أمره في حالات نادرة إلى الأرض، الخاضعة لحركة الإنسان وتنقلاته فوقها والهادئة تحت قدميه، أن تمتد وتتحرك به على حين غرة، وإذا بالهلاك والدمار حلّ في لحظة واحدة محل الأمن والاستقرار، إذا ففرار الأرض ليس آتيا من آلية الطبيعة وشأنها الذاتي، أو علم روض به الإنسان الطبيعة، وإنما هو ثمرة فضل الله ﷻ أن سخر الأرض له وأخضعها لمصلحه، وبوسعنا² أن تتبين هذه الحقيقة جلية في قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ مَنَّ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿٧﴾ [الملك: 17].

ج- الانتفاع الواسع:

ومعلوم أنّ الإنسان كما يذهب البوطي أنّه: كلّما اكتشف سبل نفع جديد من بعض خيرات الأرض، تكون له من ذلك رأس مال جديد لتحقيق مراحب جديدة في مجال النفع الإنساني الذي لا يكاد يقوم له أحد، ويمتد أثر هذا التلاحق من النفع المتوالد بشكل منفرج يتسع إلى ما يشاء الله من الاتساع.³

1- محمد سعيد رمضان البوطي، المرأة بين طغيان النظام الغربي، ولطائف التشريع الرباني، (د.ط)، دار الفكر، دمشق، ص223.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان مسيرٌ أخصب، مرجع سابق، ص190.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً، ط2، (د.ن)، مكتبة الفرابي، (د.ت)، ص40.

د- الاستكشاف والتعرّف على الكون:

ويوضح البوطي حقيقة التسخير في الأرض فيذهب بأنّه: إذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة، فاليعلم أنّه لا يوجد أي خطر ديني كما قد يتوهم البعض من أن يرتقي بالتأمل والفكر إلى معرفة الكثير من حقائق الكون المختلفة من حوله قريبا كان أو بعيدا، ولا يوجد أي مانع ديني من أن يتوصل بعد ذلك إلى اكتشاف هذه الحقائق بالحس والمشاهدة، كاجتياز طبقات الجو، واكتشاف الكواكب القريبة أو البعيدة عن كسب، بل والصعود إليها والإقامة فيها إن أمكن، كما لا يوجد أي مانع من أن يُصدّق المسلم نبأ حدوث شيء من هذه الأمور إذ أنّ هذا كله إنّما يدخل ضمن معنى التسخير الذي عبّر به القرآن.¹

هـ- مجال النظر والتفكير:

يذهب البوطي إلى أن: الموجودات، في مجموعها كلّ واحد متناسق، وأنّ الإنسان في داخل هذا الكلّ أشبه بالنواة القائمة في داخل الخلية، فما تتحرك هذه الأجرام الكونية، ماضيةً في أداء مهامّها إلّا في خدمته ورعاية مصالحه،² والكون مجال تفكير الإنسان فالله ﷻ أمر الإنسان بالنظر والتفكير فقد تكرر وروده في القرآن بصيغ متعددة وأساليب مختلفة وحول قضايا متنوعة، تناول عالم الشهادة بأنواعه المختلفة، بدءا من الأمر بالنظر في بدء الخلق وبدء خلق الإنسان إلى النظر في الكون الطبيعي³ والقرآن مليء بهذه الآيات من بينها قول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿١١﴾ [يونس: 101]

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص297[بتصرف].

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الظلاميون والتورانيون محاولة لمعرفة من خلال سلّم العلم فالدين فالأخلاق، مرجع سابق، ص41-42.

3- محمد السيد الجليند، الوحي والإنسان (قراءة معرفية)، (د.ط)، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص146-148.

4- ثمار عمارة الأرض على الفرد والمجتمع:

يوضح البوطي إلى أنه: قد تصادف أن تجد أمة تعرّت عن كل مقوماتها المادية في سبيل الحفاظ على العقيدة الصحيحة، والنظام الاجتماعي السليم، وما هي إلا فترة قصيرة حتى تجد أرباب هذه العقيدة وما يتبعها من الخلق والنظام الاجتماعي السليمين قد استحوذوا على وطنهم المسلوب وما لهم المغصوب وعادت إليهم قوتهم مضاعفة معززة، ولن نجد الصورة الصحيحة عن الكون والإنسان والحياة ونظام اجتماعي عدل إلا في عقيدة الإسلام الذي هو دين الله لعباده في الأرض، ولذا فقد كان من أسس الدعوة التضحية بالمال والوطن في سبيله، فبذلك يضمن المسلمون لأنفسهم المال والوطن والحياة.¹

ويردف البوطي بآته: لا سبيل للاستفادة الصحيحة من الدنيا، إلا إذا وُضعت من اعتبار الناس في المكان الذي وضعها الله فيه، ولا سبيل لوضع الإنسان دنياه في ذلك المكان إلا إذا أسلم انقياده إلى الله، وعكف على تحقيق عبوديته له، وأيقن أنّ ذلك هو الهدف الأسمى الذي خُلق لتحقيقه.²

أ- تعليمات الإسلام في بناء الحضارة:³

يرى البوطي أنّ: الله ﷻ أرسل تعليماته بعد أن أخبرنا عن قصة هذا الكون، ثمّ حدّثنا عن رسالتنا في عمارة الأرض حضارياً ومادياً، وحدّثنا عن المنهج الأمثل في إقامة دعائم الاجتماع ومد جسور الصلة بين بني جنس البشر، كذلك حدّثنا عن النظم التي ينبغي أن نلجأ إليها لنسج مقومات السعادة الفردية والاجتماعية، تلك هي خلاصة تعليمات الإسلام.⁴

1- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ط2 بيروت - لبنان، دار الفكر العاصر، 1968م، ص93.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذكل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟، مرجع سابق، ص59.

3- يُعرف البوطي الحضارة بأنّها: ثمرات الجهد الذي يبذله الإنسان لاستغلال المكونات من حوله، في سبيل تحقيق مقومات المجتمع الإنساني، وبث أسباب الخير والسعادة فيه. وعناصرها الأساسية تتمثل في الإنسان، الحياة، الكون. والإنسان أهم هذه العناصر، إذ هو العنصر الفعال والمؤثر وهو محور العمارة الكونية في الدنيا وذلك بما قد أوتي من نعمة الفكر والبصيرة، وكل ما عداه مما يراه من حوله فأسباب ميسرة نثرت له على قارعة الطريق ليراه فيهندي إلى عظيم جدواها ويستخدمها في بلوغ غاياته. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام، (د.ط)، (د.ن)، دار الفكر، (د.ت)، ص20-21.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، مرجع سابق، ص46.

ويضيف الإمام البوطي إلى أن: هذا التشريع الأمر النهائي المنظم يرسم لنا النظام الذي ينبغي أن تنهض عليه علاقة الإنسان بالإنسان، من حيث ضرورة التزام الأسرة الإنسانية بقانون العدالة التي تحتاج إليها في كل عصر، والشريعة جاءت علاقة الإنسان بذخر الأرض الداخلية، وخيراتها النابعة من ظاهرها، وجاءت لتنظيم علاقة الإنسان بذخر الأرض الداخلية، وخيراتها النابعة من ظاهرها، فالشريعة جاءت لتنظيم علاقة الإنسان مع النظام الكوني الثابت، لا مع مادته المتحركة المتغيرة.¹

ب- الشريعة كمال وانسجام:

كما وضح البوطي العلاقة بين الإنسان والكون فيرى: أن علاقة الإنسان مع هذا الكون تقوم على مصالح تتحكم في تحديدها الفطرة، وهي مصالح متنوعة ومتفاوتة في الأهمية والترتيب، لأن الحاجات الإنسانية هي الأخرى متنوعة ومتفاوتة في الأهمية والترتيب الاحتياجي؛ إذن فأحكام الشريعة الإسلامية ليست أكثر من تبصير الإنسان بأمثل الطرق للانسجام مع الكون الذي يعيش فيه بكل ما فيه من الثوابت والمتحركات.²

وينص القرآن في أكثر من موضع على الوظيفة التي حملها الإنسان فهو يقول: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61] أي كلفكم بعمارها.³ ويقول ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30] أي خليفة مني في الحكم بالعدل بين خلقي وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم العدل بين خلقه⁴ ويقول أيضا ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5] وقال

1- محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، مرجع سابق، ص 83.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتهم، مرجع سابق، ص 52 [بتصرف].

3- محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام، مرجع سابق، ص 25.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55]، فهذه الآيات تنطوي على تعريف صريح بالمهمة التي كُلف الإنسان في حياته أن ينهض بها ألا وهي تحقيق جامعة إنسانية فعالة في سبيل النهوض بعمارة الكوكب الأرضي، العمارة الشاملة لكل ما تتسع له كلمة العمارة من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية، ومن هنا شرف الله الإنسان الذي قبل النهوض بهذه الوظيفة بلقب الخليفة وأعطاه صفة الإمامة وخلع عليه خلعة التكريم.¹

ج- آفة الحضارة:

يرى البوطي في توضيح هذه المسألة: ومن لم ينتبه إلى مجموع هويته الإنسانية الشأن فيه أن يتطرق إما إلى سبيل التكبر، وإما إلى سبيل المهانة والخنوع، ومن هذين السبيلين يتحقق ما يسميه البيان القرآني الإفساد في الأرض، تلك هي آفة الحضارة، وذلك الإفساد الذي يظل القرآن يكرّر الحديث عنه ويحذر منه، ويلفت نظر الإنسان إلى مغبات التورط في أسبابه، فما أفسدت هذه الأرض إلا يوم تاه بنو الإنسان عن هُويّاتهم، فتأله الأقوياء وذلل الضعفاء وخرج كل فريق عن إنسانيته، فمزقت بينهم آصرة التعاون وهاجت فيهم عوامل البغضاء وانتشر فيهم التهاجر والقتل.²

د- الفرق بين الرؤية الإسلامية للكون والإنسان:

وهذه الرؤية يوضحها البوطي فيرى: أنّ الرؤية القرآنية تضع الرائي من الكون أمام جهاز مؤلّف من أجزاء متناسقة يظل التفاعل البناء ساريا فيما بينها، ومن ثمّ فهو يدرك قيمة الجزء منها من خلال ما يتبيّن من الأجزاء الأخرى، ويكتشف كمال كل منها بما يراه من الارتباط الوثيق الساري فيما بينها، ثمّ يعود متأملا في القرآن الكريم أمام مرآة ذاته وقد تبين هويته، ووظيفته التي أقامه الله عليها ومكانته من الكون كله، أمّا الرؤية الغربية فهي تضع الرائي أمام

1- محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام، مرجع سابق، ص 25.

2- المرجع نفسه، ص 47.

نثار من ظواهر كونية شتى، لا يدري من أين جاءت ولا كيف انبثقت، ومهما تأمل فيها فإنه لن يرى في عمق ما ينظر إليه إلا ساحة وجودية مجهولة الآفاق، سُداها ولحمتها نسيج من الألبان.¹ أي طريق مظلم خفي لا يستند هذا الإنسان على أي يقين ولا برهان إلا إذا رجع إلى الوحي المنزل من قبل الله تعالى.

5- خلاصة معنى خلافة الإنسان عن الله في الأرض

يلخص البوطي معنى خلافة الإنسان عن الله في الأرض هي: أن يضع الله بين يدي الإنسان ميزان عدالته وحكمته وعلمه، ويجهزه بالقدرات الفكرية والعلمية التي تعينه على فهم هذا الميزان، ثم يكلفه بأن يقضي بين بني جنسه بحكمه ومقتضاه، ويفعل ذلك باسم الله ويحتملهم على الخضوع لذلك بتفويض منه، فهذا هو باختصار معنى الخلافة، وبوسعك أن تطلع على العقد المبرم في هذا بين الله وخلقته التي كرمها وامتّعها بالمسؤولية،² في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: 7-9]، ومن المعلوم أن الله كما وضع هذا الميزان بين يدي الخليفة لينظم ويضبط الحياة، وضع أيضا لسائر أصناف الحيوانات الأخرى موازين أخرى تتناسب مع طبيعتها وتقيم علاقات على أساس المرحمة ومقومات العيش.³

ويبين البوطي بأن: الله قد قضى تكريم الإنسان بنعمة العقل الذي يبصره بالميزان وجدواه الإلهي، ثم أن يحيله إلى حرية الاختيار، فإن شاء التزم فله الأجر، وإن شاء انصرف عنه واستبدله، فتوعده بالعقاب، ومن هنا كان الإنسان هو المتميز بالخلافة دون سائر الحيوانات الأخرى.⁴

والتأمل في القرآن الكريم حسب البوطي: يدرك أنّ محور المخلوقات كلّها في -الرتبة والأهمية- إنما هو الإنسان، فالغاية التي تُخلق من أجلها أن يكون مظهرًا لحكمة الله تعالى

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام والغرب، (د.ط)، (د.ن)، دار الفكر، (د.ت)، ص37.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج4، مرجع سابق، ص331-332.

3- المرجع نفسه، ص332.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعظمته وعدالته في الأرض، وأنّ محور الوجود كله إنّما هو الدار الآخرة، فالدنيا بكل ما فيها والحياة بكل صورها مقدّمة بين يدي تلك الحياة الأبدية الأخرى، تلك الحياة التي لا تكاد تجد صحيفة من القرآن خالية عن التذكير بها والتحذير من الغفلة عنها، تلك هي أسس الحضارة الإنسانية التي جاء بها القرآن، والتي أرادها للإنسانية دستوراً ومنهجاً في هذه الحياة.¹

ولذلك على الإنسان أن يتّخذ من تعاليم الله إليه منهجاً، ليقوم عدل الله في هذه الأرض، وأنّ يعمرها بما ارتضاه الله، من أجل أمة ومجتمع إنساني قائم على أساس العدل والمساواة، فلا يُظلم فيه أحد.

المطلب الثاني: جزاء ومصير الإنسان الآخروي في فكر البوطي

اليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة، والمرحلة التي سيؤول إليها الإنسان بعد موته، وسمي باليوم الآخر لأنّه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة،² ودُكر في القرآن الكريم بعدّة تسميات من بينها يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: 6]، ولا يكاد يُذكر الإيمان بالله في القرآن، حتى يُقرن به الإيمان باليوم الآخر،³ وفي يوم القيامة يبعث الله العباد من قبورهم للحساب والجزاء، ويقضى بينهم، ففريق في الجنة، وفريق في السعير،⁴ ويبدأ اليوم الآخر بإحداث تغيير عام في هذا الكون، فتتشقق السماء، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب، وتتفتت الأرض، ويجرب كل شيء، ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود.⁵

كما شُغل الفكر الإنساني من أقدم العصور إلى يومنا، بالنظر والتأمل في حقيقة الموجودات ونشأتها وسرّ وجودها، كما شُغل أكثر من ذلك بالتأمل في حقيقة أغرب كائن فيها، ألا وهو الإنسان: من هو، وأين ينتهي مآله؟ فأما الدين الإسلامي فمصير الإنسان

1- محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ، مرجع سابق، ص228.

2- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (د.ط)، بيروت، دار المعارف، 1949م، ج1، ص118.

3- علي الطنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، (د.ط)، الجزائر، مكتبة رحاب، (د.ت)، ص104.

4- محمد بن عودة السعوي، رسالة في أسس العقيدة، ط1، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 2004م، ص58.

5- سيد سابق، العقائد الإسلامية، (د.ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص265.

وجزائه واضح جلي في القرآن والسنة، ويمرّ الإنسان بمراحل إلى أن يلق جزائه إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، وفي هذا المطلب سنقوم بعرض مراحل الحياة الآخوية للإنسان وفق ترتيب حدوثها؛ من موت، وبعث، ووزن أعمال الإنسان، والصراط والاجتياز عليه، والخلود في الجنة أو النار.

أولاً: خصائص الجزاء الإلهي الآخروي في تصور البوطي:

يمر الإنسان في حياته الدنيوية بابتلاءات، ومصائب كالأمرض، والأوبئة، والمحن وغيرها، كي تكون طهارة له في الحياة الآخوية، ويعتبر ذلك جزاء عادل لهم؛ يرى البوطي في هذا الشأن أنه: أنبأ الوحي الإلهي الإنسان بقصة نشأته وكيفية تكاثره فوق هذه الأرض، وأكد له خبر النشأة الثانية بعد الموت والجزاء العادل الذي أعدّ له على كل ما قدّمه في حياته الدنيا من خير وشر، كما أكد له أن هذه الحياة التي نعيشها اليوم ليست إلّا ممراً إلى مقر. ¹ لكي يتلقّى الإنسان الحساب من الله **وَعَلَىٰ** وبذلك الخلود إمّا للجنة وإمّا إلى النار. وسنفضّل فيما يلي:

1- حتمية جزاء الإنسان

يوضّح البوطي مسألة في غاية الأهمية حول الإخلال بدوره الوظيفي، وتقصيره في أداء الدور الاستخلافي، وما يستوجب بالإخلال بها جزاءين فيقول: أحدهما يستحقه الإنسان بسبب تفريطه بواجب العبودية في جنب الله، وهو جزاء آخروي ادّخره الله له إلى يوم القيامة وثانيهما لا يخرج في حقيقته عن أن يكون تسوية حقوقية يكلف بها الإنسان بما قد فوّته من حق شرعي ثابت للآخرين، أو بتعبير آخر لا يخرج عن كونه ترميماً أو سدا لثغرة أحدثها بإخلاله هذا في بنية الحقوق الإنسانية الشاملة، وهو جزاء دنيوي يتولى القضاء تنفيذه، فلئن أفلت الإنسان من تبعات العدالة في حكم القضاء الدنيوي، لا يمكن أن يفلت في حكم الرقابة الإلهية. ²

1- محمد سعيد رمضان البوطي، الظّلاميون والتّورانينيون محاولة لمعرفة من خلال سلّم العلم فالدين فالأخلاق، مرجع سابق، ص42.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً، مرجع سابق، ص184-189.

2- حتمية موت الإنسان

يعرّف البوطي الموت بأنه: مفارقة الروح للبدن مفارقة تامة أو هو انقطاع الحياة عن البدن انقطاعاً تاماً.¹

أ- حقيقة الموت:

ويتحدث الإمام البوطي عن حقيقة الموت بأن: الله قضى بالموت على كل حي وأكّد للإنسان أنه لن يتخلص من عادية الموت مهما أمكنته الحيل ومهما تمكن من ناصية العلم، والحكمة باهرة عظيمة أخفى عنه ميقات قضائه هذا، وكم من إنسان مدّ جسوراً من الآمال بينه وبين ظلمات الغيب الذي هو مقبل عليه، فلم يتح له أن يقطف من آماله تلك إلا الحسرة والأسى، فقد كان الموت المخبوء وراء أذنه أسرع إليه من آماله التي كان ينسجها وحق به قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۗ﴾ [الإنشاق: 6].²

ويبين البوطي بأن: الموت حقيقة كبرى في هذا الوجود، حقيقة يسقط عندها المتجربون والملحدون، هي الحقيقة التي تمدّ صفحة هذا الوجود بغاشية الانتهاء والفناء وتصبغ الحياة البشرية بصبغة الذل والعبودية لله، فأيّ حقيقة تنطق بهذه الدلالة نطقاً لا لبس فيه ولا غموض أعظم من حقيقة الموت وسكرته إذ قهر بها سكان الدنيا منذ فجر الوجود إلى أن تغيب شمسهُ.³

والموت كما يؤكّده العلماء: "ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار"⁴ والموت مآل كل إنسان على وجه الأرض، وهذه الحقيقة أمر مُشاهد محسوس ولا علاقة له بالمغيبات غير أن ثمة أموراً أخرى تحيط به، لا مجال للعلم بها إلا عن طريق الخبر اليقيني الوارد في شأنها، واقتضت حكمة

1- محمد سعيد رمضان البوطي، قضايا فقهية معاصرة، ط4، دمشق- سوريا، مكتبة الفرابي، 1992م، ص126 [بتصرف].

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج1، مرجع سابق، ص269.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص338.

4- جلال الدين السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، ط1، لبنان، دار المعرفة، 1996م، ص19 [بتصرف].

الله ﷻ أن يكل قبض الأرواح إلى واحد من ملائكته المقربين، وقد دلّ على ذلك الخبر اليقيني الذي لا يقبل الاحتمال،¹ وهو قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «إِنْ يَعِشَ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمَ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»² والمراد انخرام قرنهم ودخولهم في عالم الآخرة، فإن كل من مات فقد دخل في حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: "من مات فقد قامت قيامته، وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح".³

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبَدَلَكُ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»⁴.

ويشرح البوطي هذا الحديث فيرى بأنّ: هذا الحديث يدلّ بوضوح على أنّ الإنسان أيا كان ينتظره مصيران متناقضان أعدّهما الله له، أحدهما مصير السعادة والنّعيم، والآخر مصير الشقاء والنكال، إذ يفترض أنّه سيختار لنفسه ما قد يوصله إلى هذا المصير أو ذاك، فيكون الموقعان مُعدّين له سلفاً، وهذا يعني أنّ مصير الإنسان رهن بما يختاره لنفسه.⁵

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص 306-307.

2- مسلم، الصحيح، باب قرب الساعة، حديث رقم 136. تحقيق: مصدر سابق، ج 4، ص 2269.

3- النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، (د.ط)، بيروت- لبنان، دار الجيل، 1988م، ج 1، ص 31.

4- البخاري، الجامع الصحيح، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم 1374. مصدر سابق، ج 2، ص 98.

5- محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان مسيرٌ أم محيرٌ، مرجع سابق، ص 125.

ب- سؤال الإنسان في القبر:

ويوضح البوطي هذه المسألة بأنه: إذا مات الإنسان أرسل الله إليه ملكين بشكل مفزع، فسألاه عن الدين الذي عاش عليه وعن علمه بهذا الرجل الذي سمع عنه، وهو محمد ﷺ، كما قلنا سابقا، فمن كان قد ثبته الله بالقول الثابت ومات على الحق وختم له بالحسن، ألهمه الله الجواب على سؤال الملكين، دون أن يعروه شيء من مظهرهما المخيف، ومن لم يكن معتصما بجبل الإيمان في حياته الدنيا، ومات على ما عاش عليه من لهو وعصيان وإدبار عن الحق، ملأ الله قلبه فزعا منهما، فغاب عن فكره الجواب المطلوب ولم يجر جوابا على ما يقولان.¹

ج- الإنسان بين دور ثلاثة:

جعل الله ﷻ الدور ثلاثا دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار؛ وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها، وجرت أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيما أو عذابا كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيما أو عذابا.²

ويرى البوطي في شأن الحياة البرزخية للأموات بأن: للميت حياة روحية خاصة به لا ندري حقيقتها وكيفيتها وأن أرواح الموتى تظل حائمة حول أجسادهم، ومن هنا يتصور معنى عذاب ونعيم القبر، غير أن ذلك يخضع لموازن لا تنضبط بعقولنا، إذ هو ما يسمّى بعالم الملكوت، وطريق الإيمان بها هو التسليم لها بعد أن تصلنا بطريق ثابت صحيح.³ أي لا مجال لمعرفة إلا عن طريق الوحي.

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص 308-309 [بتصرف].

2- ابن القيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص 63.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص 164.

ويبقى الإنسان في القبر إلى أن يأذن الله ﷻ بالبعث، وتسمى هذه المرحلة بالبرزخ، كما ذكرنا آنفاً، والبرزخ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هو "ما بين الموت إلى البعث"¹.

د- منزلة الإنسان قبيل موته:

ويتحدث البوطي عن الإنسان قبيل موته أي أنه يرى منزلته في الآخرة فيقول: ومن لطف الله عليه أن يطلعه قبيل موته على ما ينتظره من النعيم، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فتأخذه من ذلك غمرة تنسيه لذائد الدنيا ويغدو وإنّ همّة الأوحاد أن يرحل إلى ذلك النعيم، وهذا هو المراد بالبشرى التي وعد الله أن يكرم بها عباده الصالحين في الدنيا قبل الآخرة، أمّا التائبون الجاهلون بربهم، فلن يكون الموت بالنسبة إليهم إلا شقاء، ذلك لأنه إذا تخطف الموت أحد منهم وهو يتقلب في الدنيا كان فراقه لها أشق عليه من سكرات الموت خرج من الدنيا هو يندب حظه ويكي فرصته الوحيدة التي جرّعته ألوان الشقاء.²

فعلى الإنسان المؤمن أن يُعدّ العدة لهذه الرحلة بالطاعات واجتناب النواهي، لكي ينعم بعد موته في قبره في الدنيا، ويستلذ بالحياة الآخروية التي هي دار الخلد في الجنة.

3- البعث وحشر الأجساد وعودة الأرواح إليها:

إنّ هذه المسألة أختلف فيها بين من ينكرون البعث من بينهم الفلاسفة الإشراقيون - كما يرى البوطي - ومن يثبتونه استناداً من نصوص الوحي التي تدلّ على حشر الأجساد كما يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: 78-79] وقوله ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسْوِيَّ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: 3-4] فإذا وُجه أصحاب هذا الرأي؛ أي: المنكرين بالنصوص القرآنية القاطعة في دلالتها على أنّ العذاب، إنما هو

1- يحيى بن الحسين الجرجاني، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 2001م، ج2، ص406.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل، ج2، مرجع سابق، ص429-430.

للجسد والروح معاً، تجاوزوا ظاهرها وتناولوها بما يتفق مع تخيلاتهم دون أي انضباط باللغة العربية وقواعدها.¹

ويؤكد هذا المعنى كثير من الباحثين في استدلالهم بالنصوص الشرعية على بعث الإنسان بعد موته وعودة روحه إلى جسده، من ذلك قوله تعالى رداً على منكري ومكذبي البعث: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: 7]، وتذهب عائشة بنت الشاطي² أنه: كما أثبت القرآن الكريم ما كان من جدل الأولين في البعث، وردّ عليهم بالمنطق الذي يثبتته النظر، وأقرب ما يلفتنا إليه القرآن ما نراه من حياة الأرض بعد موتها ومن خروج الحي من الميت وخروج الميت من الحي توطئة للإقناع بأن الحياة بعد الموت ليست من المستحيل العقلي أو العادي.³

أ- أدلة البعث:

ومن أدلة البعث كذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبِّئَنَّكُمْ وَنُنقِرَنَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: 5] أي: إن شككتم في قدرتنا على إحيائكم بعد موتكم فانظروا في أصل خلقكم، فقد خلقنا أصلكم «أدم» من التراب، ومن قدر على خلقكم أول مرة قادر على أن يعيدكم ثاني مرة،⁴ ووردت في القرآن

1- محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، مرجع سابق، ص 120-121.

* عائشة عبد الرحمن: (1913م- 1998م) "الشهيرة بنت الشاطي، ولدت في دمياط في بيت عُرف بالعلم والصلاح والتصوف، تدرّجت في المناصب الجامعية حتى أصبحت أستاذة التفسير والدراسات العليا بجامعة القرويين بالمغرب، كما حضرت في عدد من الجامعات بالعالم العربي، لعائشة عبد الرحمن إنتاج علمي وأدبي اقترب من أربعين كتاباً منها: "القرآن وقضايا الإنسان" "لغتنا والحياة"، "الإسرائيليات والغزو الفكري"، توفيت في شعبان 1998م، وكانت مثالا للصبر والزهد". ينظر: ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبه العلم المعاصرين، (د.ط)، (د.ن)، (د.د)، (د.ت)، ص 139.

3- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، القرآن وقضايا الإنسان، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص 161-162.

4- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط1، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1997 م، ج 2، ص 257.

الكريم كثير من الحقائق الغيبية، تتعلّق باليوم الآخر من ذلك البعث وحشر الأجساد وعودة الأرواح إليها.

ب- عجز العلم على تفسير ظاهرة حشر الأجساد:

يرى البوطي في هذا الصدد أنّ: العلم لا يستطيع أن يصف كيفية حشر الأجساد أو أن يجلّها بالطريقة العلمية التي يمارسها الإنسان في هذه الحياة، فشأن العلم محصور في أنه يبدأ البحث بموضوعات توجد في التجربة الخارجية البعيدة عن وحي العقل أو التفكير المحض، ثم تفرض نفسها عليه طبق ما دلّت عليه المشاهدة والتجربة، وعلى العقل أن يفسّرها ويحلّلها فقط، والمعاد الجسمي لم يتحقق بعد، ومعنى ذلك أنه لم يوجد بعد الموضوع الذي يستطيع العلم أن ينظر ويبحث فيه.¹ أي أن الخبر اليقيني في هذه الغيبيات هو الوحي.

4- الحساب:

يعرّف البوطي الحساب بأنّه: إطلاع الله عباده قبل انصرافهم من المحشر على كل ما قد جنّوه في حياتهم الدنيا من تصرفات فعلية وقولية واعتقادية خيرا كانت أو شرا، وذلك بالشكل أو الوساطة التي لا يعلمها أحد غيره، وقد دلّ الخبر الإلهي أنّ الحساب هو أهم وأعظم ما يراه الإنسان من أحداث يوم القيامة.²

أ- حتمية الحساب:

والله ﷻ كما يذهب البوطي أنّه: يقاضي عباده ويحاسبهم على الكسب، أي الانبعاث النفسي إلى التلبّس بالفعل، ألا تلاحظ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] وقوله: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: 48] إلى ما هنالك من الآيات التي تنص على

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص 345.

2- المرجع نفسه، ص 347-348.

مناطق الأجر والعقاب، إنما هو كسب الإنسان نحو الشيء الذي أمر به أو نهي عنه، وإنما شاء الله أن يجعل خلقه وفقاً لانبعاثهم حتى يكون ذلك بمثابة السجل.¹

يرى محمد المبارك² مؤكداً: مسيرة رحلة الإنسان في هذه الحياة؛ فبعد بعث الإنسان وحشره وجمعه وعرضه على ربه وإظهاره عمله ونصب الموازين لوزن ما فيها من خير وشر وبيان سجل أعماله وحسابه على ذلك،³ وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على هذا المعنى منها قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: 13-14]

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: "اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا". فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: "يَنْظُرُ فِي كِتَابِهِ، وَيَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهُ. إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ. وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكْفِّرُ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةُ تَشُوكُهُ"»⁴.

جاء في شرح الحديث: (اللهم حاسبني حساباً يسيراً) "وهذا إما تعليم للأمة وتنبية لهم من نوم الغفلة، وإما تلذذ بما يقع له من هذه النعمة وإما خشية له؛ كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة، وذهوله عن مرتبة النبوة ومنزلة العصمة. (قلت: يا نبي الله! ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر) أي: العبد (في كتابه فيتجاوز) بالرفع وينصب أي (الله عنه) وفي نسخة بصيغة

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، المرجع السابق، ص164 [بتصرف].

* محمد بن عبد القادر بن محمد المبارك: (1912م-1981م) "الغوي مُرَبِّ سياسي، وُلد بدمشق لأسرة عُرفت بالعلم، أصلها من الجزائر، تقلد الكثير من المهام من بينها: عميداً بكلية الشريعة، له العديد من الكتب من بينها: "سلسلة نظام الإسلام"، "فقه اللغة" "خصائص العربية"، "نحو إنسانية سعيدة"... وغيرها، توفي بالمدينة المنورة، ودُفن بالبقيع. " ينظر: نزار أباطة ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام، ط1، بيروت-لبنان، دار صادر، 1999م، ص252.

3- محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، (د.ن)، دار الفكر، 1968م، ص164.

4- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، حديث رقم: 849. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط3، (د.ن)، المكتب الإسلامي 1424 هـ - 2003 م، ج، ص429-430.

خاصة فيهما (فإنه) أي: الشأن (من نوقش الحساب) بالنصب على نزع الخافض؛ أي: المحاسبة والمضايقة في المطالبة (يومئذ يا عائشة هلك) أي: عُدب¹.

5-الميزان والوزن:

يقول البوطي: "وكلاهما مما أخبر الله عنه في محكم كتابه، بعبارات واضحة لا تحتمل التأويل. فهو حق يجب الإيمان به كما أخبر"².

والوزن بالقسط لأعمال العباد، فلا ظلم على أحد يومئذ لأن الحاكم فيه هو الله وَعَلَى الذي حرّم الظلم على نفسه وجعله على عباده مُحَرَّمًا، فلا يهضم أحد من حسناته ولا يؤخذ عبد إلا ما عمل.³ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ

اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ [غافر: 17] وقال أيضا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ

إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ [يس: 54] وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ

الْقِيَامَةِ فَلَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا

حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: 47]، فهذه النصوص وغيرها الكثيرة في القرآن الكريم دالة على أن

الإنسان سوف توزن أعماله يوم القيامة بما كسب ولا يُظلم عند الله أحد من عباده.

6- الصراط والاجتياز عليه:

والصراط يطلق على معنيين كما يبين البوطي: أحدهما في الدنيا؛ وهو المنهج الذي شرّعه

الله لعباده وأمرهم باتباعه، ثانيهما في الآخرة؛ وهو الجسر الذي يُنصب على نار جهنم يوم

القيامة، فيجتاز عليه الناس على اختلاف مذاهبهم، وتفاوت درجاتهم فمنهم من يدقّ تحت

1- علي بن محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، بيروت- لبنان، دار الفكر، 2002م، ج8، ص3534.

2- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينية الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص351.

3- حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط1، الدمام، دار ابن القيم، ج2، ص844 [بتصرف].

قدميه حتى يبدو له أنه أدق من السيف، فيترّج من فوقه ثم يهوي في النار، ومنهم من ينسبط عريضا تحت قدميه فيمر من فوقه إلى ما أعدّه الله له من النعيم المقيم.¹

وعلى الصراط كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مرّ على الصراط دخل الجنة، فإذا مر عليه الناس عبروا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هدّبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.²

7- الخلود في الجنة والنار:

يرى الإمام البوطي في شأن الجنة والنار أهما: العاقبة التي لا بد أن تنتهي إلى إحداها حياة الإنسان، وهي عاقبة أخيرة ودائمة لا عاقبة من بعدها وكلاهما شيان ماديان، وكلاهما خالد لا نهاية له.³

والجنة؛ هي الجزاء العظيم والثواب الجزيل الذي أعده الله لأوليائه؛ وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص ولا يُعكّر صفوه كدر.⁴ وهناك آيات عديدة تتحدث عن الجنة ونعيمها وما سيلقاه الإنسان المؤمن بالله، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [السجدة: 19]، وفي الحديث القدسي قوله تبارك وتعالى: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»⁵

أما النار؛ فهي الدار التي أعدها الله للكافرين به المتمردين على شرعه المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين.⁶ ويحذر الله ﷻ

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص353.

2- عمر العرابوي الحملاوي، التوحيد، (د.ط)، (د.ن)، مكتبة الوراق العصرية، 1984م، ص192 [بتصرف].

3- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص358.

4- عمر بن سليمان الأشقر، الجنة والنار، ط07، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1998م، ص117.

5- البخاري، الجامع الصحيح، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم 3244. ج4، مصدر سابق، ص118.

6- عمر بن سليمان الأشقر، الجنة والنار، مرجع سابق، ص11.

الإنسان منها في كثير من مواضع القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24].

ثانياً: أثر الإيمان في سلوك المسلم:

توجه البوطي بوصية للإنسان: يا أيها الإنسان، تبين اليوم من العقائد ما شئت، بشرط أن تظلّ وفيّاً لها إذا تنقّلت في هذه المراحل كلها، ثم رأيت نفسك ممدداً على فراش الموت ساعة الرّحيل عن هذه الدنيا. ولتكنّ على يقين أنّ سائر ما يتراكم في كيان الإنسان، أنّه بسائق من التطلّعات المصلحية والأهواء وردود الفعل المتنوعة، ستتبدد عنه في تلك الساعة الأخيرة،¹ ولن يحلّ معها إلا نار ندم كاوية، أنصحك يا أخي أن تتخذ لنفسك منذ اليوم، رفيقاً لا يفارقك في تلك الساعات، وليكن رفيقاً يؤنسك إذا بدأت تلك الرحلة التي لا تعلم اليوم شيئاً عنها، ولتعلم أنّه رفيق واحد لا ثاني له يجب أن تصحبه ويكون أنيسك في الشدة والرخاء وفي كل الأحوال.²

1- الأسئلة الوجودية وأهميتها:

ويوضّح البوطي أنّ: الأجيال الإنسانية عانت منذ أحقاب عن أجوبة مقنعة عن الأسئلة الوجودية (من أين؟ وإلى أين؟) بدءاً من الفلاسفة إلى عامة الناس، فلم يصلوا إلى أي إجابة شافية، ولا عثروا على أي يقين علمي مطمئن.³ إلا إذا استندوا كما قلنا سابقاً عن منهاج ربّاني ووحى من الله عزّ وجلّ.

2- مصدرية الغيب:

ويتحدث الإمام البوطي عن الغيب موضحاً: إن الإنسان مهما أوتي من القدرات العلمية الحديثة، لن يصل إلى يقين علمي بالمغيبات، وسبب ذلك أنّ مفاتيح المغيبات ليست بيده وليست له من سلطان عليها.⁴

1- محمد سعيد رمضان البوطي، طيب تيزيني، الإسلام والعصر تحديات وآفاق، مرجع سابق، ص 235-236.

2- المرجع نفسه، ص 235-236.

3- محمد سعيد رمضان البوطي، مدخل إلى فهم الجذور، مرجع سابق، ص 11.

4- محمد سعيد رمضان البوطي، لا يأتيه الباطل، مرجع سابق، ص 15.

فهذه جملة الحقائق الغيبية التي يجب أن يعيها الإنسان ويعتقدها اعتقاداً جازماً، بعد أن اجتاز مرحلة الإيمان بالله ورسوله وكتبه. ولا يمكن عقلاً أن ينفك الإيمان بالله عن الإيمان بهذه الغيبات، إذ هما متلازمان تلازماً واضحاً لكل ذي عقل.¹

وهكذا تبين لنا أن الإنسان في العقيدة الإسلامية كما كُلف في هذه الأرض وجُعل خليفة وحمل الأمانة، إنما هو مسؤول عن أفعاله وسيحاسب عليها في الدار الآخرة، ويمرّ بمراحل من موته إلى غاية جزاءه ومصيره إمّا إلى الجنة أو إلى النار، والبوطي من العلماء المهتمّين بدعوة الإنسان ومحاولة الأخذ به إلى الطريق المستقيم بشتى السبل المتاحة، فهذه رحلة الإنسان منذ خلقه إلى مصيره، وهو مختار وحرّ في اتخاذ السبيل.

1- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق، مرجع سابق، ص 362.

خاتمة

لقد تطرّق محمد سعيد رمضان البوطي في أبحاثه الثرية، إلى التعريف بالإنسان من حيث خلقه وتكوينه، ووظيفته، وجزائه ومصيره في اليوم الآخروي، فكان يعالج القضايا حسب المنظور الديني (الوحي) مع الاستناد إلى المنهج العلمي؛ هذا في كثير من كتبه التي توجّهت بالتّقد وتصحيح الأفكار الغربية، مع الرد عليها بالحجج المنطقية في كتابه "نقد الأوهام المادّية الجدلية" وكتاب "كبرى اليقينيات الكونية". والإنسان في نظره مخلوق مكرّم منذ نشأته الأولى زوّده الله بصفات ليستطيع النهوض بالمسؤولية المنوطة به، فهو لم يُخلق عبثاً، بل يقع تحت التكليف الإلهي بوظائف؛ من بينها عبودية الله ﷻ وعمارة الأرض، ليقوم العدل فيها وفي نفس الوقت هو مخلوق حرّ مزوّد بالإرادة والاختيار، كما أنّه ينتظره مصير في اليوم الآخروي، جزاءً له إن هو أحسن واتبع طريق الهدى نال الجنة، وإن أعرض وغوى فمصيره إلى النار، إذن على الإنسان الاختيار. فتلك هي الفكرة الأساسية التي يدور حولها هذا الموضوع فحاولنا الإجابة قدر المستطاع عن الإشكالية المطروحة في مقدمة هذا البحث والتي تتمحور حول السؤال التالي: ما هي الرؤية الفكرية للوجود الإنساني عند محمد سعيد رمضان البوطي؟

هذا فقد رصدنا بعض النتائج المهمّة فضلاً عن بعض النتائج الجزئية المتناولة أثناء التطرّق للموضوع والتي تصب دائماً في إطار محاولة الإجابة عن إشكالية البحث وأسئلته الجزئية:

1- محمد سعيد رمضان البوطي؛ شخصية معاصرة ظهرت في أوساط العالم الإسلامي، لمعالجة العديد من القضايا أبرزها مبحث الإنسان، حيث في تعريفه لمفهوم الإنسان عمومًا لم تختلف رؤيته عن المنظور القرآني؛ فعبر عن مفهوم الإنسان بأنّه ذو تركيب ثلاثي مؤلّف من الجسد والغرائز والروح، كما أنّه عبد مملوك لله حمّله مسؤولية الخلافة ليقوم عدل الله في الأرض.

2- يرى البوطي في مسألة خلق الإنسان، أنّه أفضل المخلوقات وأشرفها، خلّق في أحسن تقويم فهي صورته ذاتها لم تتبدّل ولم تتغيّر، خلافاً للفلسفات القائلة بنظرية التطوّر، كما زوّده الله ﷻ بالعقل، والفكر، وحرّية الاختيار، وبنبّه القرآن الكريم إلى حقيقتين؛ أولاهما أنّه مخلوق تافه، وثانيهما أنّه مخلوق مكرّم على سائر المخلوقات، وما سجود الملائكة له إلّا دليلاً على مكانة ورفعة الإنسان، كما زوّده الله ﷻ الإنسان بصفات وملكات من أجل النهوض بأمر

الخلافة، وعمارة الأرض، وتعتبر هذه الصفات في حقيقتها إلا آثار للصفات الإلهية فهي سلاح ذو حدّين، والضابط الذي يضبطها هو الوحي.

3- يذهب البوطي في مسألة تكوين الإنسان إلى أنّ الإنسان في مادّته التكوينية؛ يتكوّن من جسد وروح، فالجسد وبنيته الظاهرة، وأجهزته الخفية كوّنها الله ﷻ في غاية الدقة والانتظام، كما أنّ مصير الخلايا الجسدية آيلة إلى التبدل والاضمحلال، شأنها شأن كثير من المخلوقات الأخرى كالنباتات والأشجار، أمّا الرّوح التي تُعتبر نفخة تكريم وتشريف للإنسان، فهي سرّ لا مطمع لمعرفة حقيقته، كما يرى البوطي أنّ بين الجسد والرّوح تربطهما علاقة خادم ومخدوم، ومن مظاهر هذا التّكوين تتمثّل؛ في النفس، والقلب، والعقل، ولكلّ من هذه المكوّنات وظيفته.

4- يبيّن الإمام البوطي في مسألة خلافة الإنسان؛ على أنّ الإنسان مخلوق لحكمة ليس عبثاً، بل لعبادة الله ﷻ، كما جعل الله الإنسان خليفة له، فهو إن امتثل لذلك سيهديه الله إليه، أمّا إذا لم يصغ وأعرض، فسيلقى جزاءه وبالتالي فالإنسان له كامل الحرية في الاختيار، إذا فمصيره رهن بما سيختار، كما أنّه جُعِل في هذه الأرض لعمارها بما أمره الله ﷻ، ويقوم عدل الله بها.

5- أمّا بالنسبة لمسألة جزاء ومصير الإنسان في اليوم الآخروي في تصوّر البوطي؛ يرى في ذلك أنّ الإنسان يمرّ بمراحل منذ وفاته والتي تعتبر أوّل منزلة للحياة الآخروية وتسمى بالبرزخ، ثمّ مرحلة البعث وحشر الأجساد؛ حيث يبيّن البوطي أنّ العلم لا يستطيع كيفية حشر الأجساد، بل أنّ الخبر اليقيني حول هذه الغيبات هو الوحي، تليها مرحلة حساب الله لعباده ثمّ توزن أعمالهم، فآنذاك لا يُظلم أحد، لأنّ الحاكم فيها هو الله ﷻ، وبعد ذلك يجتاز الإنسان مرحلة الصّراط نحو الخلود إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار؛ فعلى الإنسان أن يتأمّل فيما جاءت به العقيدة الإسلامية، وعليه أن يحدّد مصيره ويختار، فإن وصل إلى مرحلة اليقين والإيمان بذلك، نال السعادتين في الدنيا والآخرة.

توصيات:

- ومن التوصيات والتوجيهات التي نوصي بها من خلال هذا البحث ما يلي:
- 1- ندعو طلبة العلم الشرعي إلى العكوف بالدراسة على الموروث العلمي الذي خلفه الشيخ البوطي، وتوظيف ذلك في أبحاث علمية ودعوية، ليكون بذلك إضافة حقيقية، ونظرة تجديدية ذات أفق، علّها تكون حلاً وعلاجاً لمشكلات العصر.
 - 2- نوصي بدراسة الجوانب المختلفة لمبحث الإنسان وضرورة ارتباطها برسالة الإنسان في الأرض.
 - 3- كما نوصي أيضاً بعناية جوانب الإنسان الأخرى من أجل ضمان سلامته واستقراره، حتى يستطيع القيام والنهوض بأمانة الشهود الحضاري.
 - 4- ندعو كل طلبة العلوم الإسلامية بجميع تخصصاتهم أن يتخذوا من المنهج الذي سار به البوطي -رحمه الله- في توضيحه للمسائل وعرضها، لأنه يتخذ في موضوعاته؛ الموضوعية في الطرح والمزاوجة بين ما جاء في الوحي وتوظيف برهان العقل، مع الحذر في وقوع المسلم أن لا يقف فيما ليس له به علم، فما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى اتخاذ هذا المنهج السليم.
- نسأل الله وَعَجَّلْ أن يرحم الشيخ الجليل البوطي رحمة واسعة، وأن يتقبل منا هذا العمل المتواضع، فما كان من خطأ أو نسيان فمن أنفسنا والشيطان، وما كان من توفيق وسداد فمن الله وحده وصلّ اللهم وسلّم على نبيّنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وتمت بحمد الله تعالى.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الصفحة	الآية	السورة	طرف الآية
11	14	الرحمن	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ... ﴾
11	26	الحجر	﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ... ﴾
11	12	المؤمنون	﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ... ﴾
11	8-7	الإنفطار	﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ... ﴾
12	165	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْفَ الْأَرْضِ... ﴾
12	110	آل عمران	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... ﴾
12	56	الذاريات	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا... ﴾
13	29-28	الحجر	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ... ﴾
13	70	الإسراء	﴿ *وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴾
13	34	البقرة	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ... ﴾
23	5-1	العلق	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾... ﴾
24	34	البقرة	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ... ﴾
24	30	الروم	﴿ فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا... ﴾
24	70	الإسراء	﴿ *وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴾
25	13	الجاثية	﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ... ﴾
26	4	التين	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

26	7-6	الإِنْفِطَار	﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ...﴾
31	4	التين	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾
32	2	الإنسان	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ...﴾
33	29	الحجر	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَوَفَّقْتُ فِيهِ مِنْ...﴾
34	85	الإِسْرَاءِ	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ^ط قُلِ الرُّوحُ...﴾
34	29	الحجر	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَوَفَّقْتُ فِيهِ مِنْ...﴾
34	172	الأعراف	﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ...﴾
35	8-7	الشمس	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا...﴾
36	172	الأعراف	﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ...﴾
37	8-7	الشمس	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا...﴾
38	53	يوسف	﴿* وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ...﴾
38	27	الفجر	﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾
38	2-1	القيامة	﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ...﴾
38	53	يوسف	﴿* وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ...﴾
39	30	آل عمران	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ...﴾
40	37	ق	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾
40	28	الرعد	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ...﴾

41	37	النور	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ...﴾
41	89	الشعراء	﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾
45	179	الأعراف	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ...﴾
46	10-8	البلد	﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا...﴾
47	71	المؤمنون	﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ...﴾
48	169-168	الصفات	﴿لَوْ أَن عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾...﴾
48	21	الذاريات	﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾
48	101	يونس	﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾
51	30	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي...﴾
51	142	الأعراف	﴿* وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً...﴾
53	15	الإسراء	﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ...﴾
53	3-2	الإنسان	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ...﴾
55	21	البقرة	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ...﴾
55	25	الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ...﴾
55	1	الإسراء	﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۗ...﴾
56	18	الحج	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ وَمَنْ...﴾
56	29	الكهف	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ...﴾

56	256	البقرة	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ...﴾
56	56	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ...﴾
57	115	المؤمنون	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا...﴾
57	30	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾
58	16-15	المائدة	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ...﴾
58	56	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ...﴾
59	50	الذاريات	﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ...﴾
60	70	الإسراء	﴿*وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾
61	61	هود	﴿*وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ...﴾
66	61	هود	﴿*وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ...﴾
62	72-71	يس	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا...﴾
63	99	الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾
63	17	الملك	﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿٧﴾﴾
64	101	يونس	﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾
66	61	هود	﴿*وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ...﴾
66	30	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي...﴾

66	5	القصص	﴿وَرِيدٌ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ...﴾
66	55	النور	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ...﴾
68	9-7	الرحمن	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ...﴾
70	6	القيامة	﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾﴾
72	6	الإنشاق	﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ...﴾
72	11	السجدة	﴿قُلْ يَتَوَقَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي...﴾
75	79-78	يس	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ...﴾
75	4-3	القيامة	﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ...﴾
75	7	التغابن	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا...﴾
76	5	الحج	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ...﴾
77	286	البقرة	﴿لَا يَكْفِي اللَّهُ نَفْسًا...﴾
77	48	الزمر	﴿﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا...﴾
78	14-13	الإسراء	﴿وَكُلٌّ فِيهِ الْإِنسَانُ ظَلِيمٌ...﴾
79	17	غافر	﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا...﴾
79	54	يس	﴿فَالْيَوْمَ لَا تظَلُّمَ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَلَا...﴾
79	47	الأنبياء	﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمٍ...﴾

80	19	السجدة	﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا...﴾
80	24	البقرة	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا...﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
24	"ما مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ..."
27	"إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ..."
41	"الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ..."
44	"عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ..."
47	"رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ..."
54	"إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ..."
72	"إِنَّ يَعْشَ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ..."
73	"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى وَذَهَبَ عَنْهُ..."
78	"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ..."
80	"أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ..."

فهرس الأعلام

(أ)

ابن تيمية، ص 54

ابن عاشور، ص 57-60

ابن عباس، ص 74

أبو حامد الغزالي، ص 10-20-41

أبو منصور، ص 9

أنس رضي الله عنه، ص 73

(ب)

بديع الزمان سعيد النورسي، ص 20

(ج)

المرجاني، 10

جلال الدين الرومي، ص 20

جمال الدين الأفغاني، ص 20

(د)

داروين، ص 28

(ح)

حسن حبنكة، ص 18

(م)

محمد المبارك، ص 20

محمود عباس العقاد، ص12،

مصطفى حسين السباعي، ص20

مؤلاً رمضان البوطي، ص17

(ع)

عائشة بنت الشاطيء، ص76

عائشة -رضي الله عنها-، ص72

عبد الله بن المبارك، ص20

عبد المجيد النجار، ص13

(ف)

الفضيل بن عياض، ص20

(ر)

الراغب الأصفهاني، ص41

روجيه غارودي، ص20

(ش)

الشافعي، 58

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

* إبراهيم: زكريا

1- مشكلة الإنسان (د.ط، القاهرة، مكتبة مصر، 1937م).

* إبراهيم: محمد إسماعيل

2- القرآن وإعجازه العلمي (د.ط، د.ن، دار الفكر العربي، د.ت).

* ابن تيمية: تقي الدين

3- العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش (ط07، بيروت، المكتب الإسلامي، 2005م).

* ابن حجر: العسقلاني

4- فتح الباري شرح صحيح البخاري (د.ط، بيروت، دار المعارف، 1949م).

* ابن حنبل: أحمد

5- المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و آخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي

(ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م).

* ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق

6- صحيح ابن خزيمة، حديث رقم: 849. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي (ط3، د.ن،

المكتب الإسلامي 1424 هـ - 2003م).

* ابن عاشور: محمد الطاهر

7- التحرير والتنوير (د.ط، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م).

* ابن كثير: الحافظ عماد الدين الدمشقي

8- ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز (د.ط، بيروت- لبنان،

دار الجيل، 1988م).

*ابن منظور: جمال الدين

9-لسان العرب (ط3، بيروت، دار صادر، 1993م).

*أبو داود: السجستاني

10-سنن أبي داود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، حديث رقم 4403، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي (ط1، دن، دار الرسالة العالمية، د.ت).

*الأشقر: عمر سليمان

11-الجنة والنار (ط07، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1998م).

*الأصفهاني: الراغب

12-تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين (د.ط، بيروت - لبنان، دار مكتبة الحياة،

1983م).

13-المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط1، دمشق بيروت، دار

القلم، الدار الشامية، 1991م).

*الأنباري: أبو بكر

14-الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن (ط1، بيروت، مؤسسة

الرسالة، 1992م).

*البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي

15-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه =صحيح

البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ).

*بنت الشاطيء:

16-عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، القرآن وقضايا الإنسان (د.ط، القاهرة، دار المعارف،

د.ت).

*بن رمضان: محمد خير

- 17- تَكْمَلَة مُعْجَمِ الْمُؤَلِّفِينَ، (ط1، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، 1997م).
- *البوطي: محمد سعيد رمضان
- 18- أدب الحوار في كتاب الله ﷺ (د.ط، دن، نحو القمة للطباعة والنشر، د.ت).
- 19- الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا؟ وكيف؟ (ط9، دمشق، دار الفكر، 2014م).
- 20- الإسلام والغرب (د.ط، دن، دار الفكر، د.ت).
- 21- أصول الفقه الإسلامي (د.ط، دن، وزارة الأوقاف السورية، 1989-1990م).
- 22- الإنسان مسير أ مخير (د.ط، دن، دار الفكر، د.ت).
- 23- الإنسان وعدالة الله في الأرض (ط1، دمشق، د.د، 1391هـ).
- 24- البدايات باكورة أعمال الفكرية (ط1، دمشق، دار الفكر، 2009م).
- 25- التعرف على الذات (ط2، دمشق، دار الفكر، 1982م، ص 83-84).
- 26- الحب في القرآن ودور الحب في حياة الإنسان (ط4، دمشق، دار الفكر، 2011م).
- 27- الحكم العطائية شرح وتحليل (د.ط، دمشق، دار الفكر، 2003م).
- 28- السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي (ط14، دمشق، دار الفكر، 2010م).
- 29- شخصيات استوقفتني (ط7، دمشق، دار الفكر، 2008م).
- 30- الظلاميون والنورانيون محاولة لمعرفة من خلال سلم العلم فالدين فالأخلاق (ط1، دمشق، دار الفكر، 2010م).
- 31- على طريق العودة إلى الإسلام رسم لمنهج وحل لمشكلات (ط8، الجزائر، مكتبة رحاب الجزائر، 1987م).
- 32- العناية بالعبادات أساس لا بد منه لتثبيت المجتمع الإسلامي (د.ط، دن، د.د، د.ت).
- 33- فقه السيرة، (ط2 بيروت - لبنان، دار الفكر العاصر، 1968م).
- 34- قضايا ساخنة (ط1، دمشق، دار الفكر، 2016م).

- 35- قضايا فقهية معاصرة (ط4، دمشق- سوريا، مكتبة الفرابي، 1992م).
- 36- كبرى اليقينيّات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، (ط33، دار الفكر دمشق/ دار الفكر المعاصر بيروت، 2013م).
- 37- اللّاه مذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية (د.ط، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، دار الفرابي، 2005م).
- 38- لا يأتيه الباطل (ط1، دمشق، دار الفكر، 2007م).
- 39- الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان (د.ط، دمشق- سوريا، دار الفكر، د.ت).
- 40- مدخل إلى فهم الجذور (د.ط، دمشق- سوريا، دار الفكر، د.ت).
- 41- المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة (د.ط، دن، دار الفكر، د.ت).
- 42- المرأة بين طغيان النظام الغربي، ولطائف التشريع الرباني (د.ط، دار الفكر، دمشق، د.ت).
- 43- مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً، ط2 (دن، مكتبة الفرابي، د.ت).
- 44- من أسرار المنهج الرباني (د.ط، دن، د.د، د.ت).
- 45- من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل (د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1999م).
- 46- منهج تربوي فريد في القرآن الكريم (د.ط، باتنة، دار الشهاب للطباعة والنشر، د.ت).
- 47- منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام (د.ط، دن، دار الفكر، د.ت).
- 48- نقض أوهام المادية الجدلية (الديالكتية) (ط1، دمشق، دار الفكر، 1978م).
- 49- هذا والدي القضية الكاملة لحياة الشيخ ملاً رمضان البوطي من ولادته إلى وفاته (د.ط، بيروت- لبنان، دار الفكر المعاصر 1995م).
- 50- هذه مشكلاتنا (ط3، دمشق، دار الفكر، 1994م).

- 51- وهذه مشكلاتهم (ط1، دمشق، دار الفكر، 1990م).
- 52- هكذا فالندع إلى الإسلام (د.ط، د.ن، مؤسسة الرسالة- مكتبة الفرابي، د.ت)
- 53- يغالطونك إذ يقولون (د.ط، دمشق، الصديق للعلوم، د.ت).
- *البيهقي: الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ
- 54- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (ط3، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م).
- *الجاوي: محمد بن عمر نووي
- 55- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ).
- *الجرجاني: علي بن محمد بن علي
- 56- التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر (ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1983م).
- *الجرجاني: يحيى بن الحسين
- 57- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل (ط1، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 2001م).
- *الجليند: محمد السيد
- 58- الوحي والإنسان (قراءة معرفية) (د.ط، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).
- *الجوزية: ابن القيم
- 59- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

*الجوزو: محمد علي

60- مفهوم العقل والقلب في القرآن الكريم والسنة (ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م).

*الجوهري

61- الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط2، بيروت، دار الملايين، د.ت).

*الجويني: أبو المعالي

62- التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري (د.ط، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1996م).

*الحكمي: حافظ بن أحمد بن علي

63- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر (ط1، الدمام، دار ابن القيم، د.ت).

*الحملوي: عمر العرباوي

64- التوحيد (د.ط، د.ن، مكتبة الوراق العصرية، 1984م).

*الحنفي: أبو البقاء

65- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري (د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت).

*دارون تشارلز

66- أصل الأنواع، ترجمة: إسماعيل مظهر (د.ط، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداي سي أي سي، 2017م).

*خان: أبو الطيب محمد صديق

67- فتح البيان في مقاصد القرآن (د.ط، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1992م).

*الذماغاني: الحسين بن محمد

68- قاموس القرآن (ط4، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، 1983م).

*الرازي: زين الدين أبو عبد الله

69- مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية،

بيروت - صيدا، 1999م).

*الراغوش: عماد

70- العقل في القرآن وأثره في التفسير (أستاذ التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت).

*الزجاج: أبو إسحاق

71- معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي (ط1، بيروت، عالم الكتب،

1988م).

*الزحيلي وهبة بن مصطفى

72- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ط2، دمشق، دار الفكر المعاصر،

1997م).

*الزركلي: خير الدين

73- الأعلام (ط7، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، 1986م).

*الزين: سميح عاطف

74- معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة (د.ط، د.ن، دار الكتاب اللبناني،

1991م).

*سابق: سيد

75- العقائد الإسلامية (د.ط، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت).

*السعودي: محمد بن عودة

76-رسالة في أسس العقيدة (ط1)، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (2004م).

*السيوطي: جلال الدين

77-شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ط1، لبنان، دار المعرفة، 1996م).

*الشافعي: أبو الحسن

78-التفسير البسيط (ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1430).

*الشافعي: أبو محمد الحسين

79-شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش (ط2، دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403هـ - 1983م).

*الشحود: علي بن نايف

80-موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، (د.ط، دن، د.د، د.ت).

*شريعتي: علي

81-الإنسان والإسلام، ترجمة: عباس الترحمان، (ط2، بيروت، دار الأمير، 2007م).

*الشعراوي: محمد متولي

82-تفسير الشعراوي-الخواطر- (د.ط، دن، مطابع أخبار اليوم، د.ت).

*الصابوني: محمد علي

83-صفوة التفاسير (ط1، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م).

*الطنطاوي: علي

84-تعريف عام بدين الإسلام (د.ط، الجزائر، مكتبة رحاب، د.ت).

*عبد الباقي: محمد فؤاد

85- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (د.ط، القاهرة، دار الكتب، 1944م).

*العجمي: أبو اليزيد

86- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم (د.ط، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، د.ت).

*العقاد: عباس محمود

87- الإنسان في القرآن (ط1، المؤسسة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، 2016م).

*عقله: محمد

88- الإسلام حقيقته وموجباته (د.ط، الجزائر، شركة الشهاب، د.ت).

عليوان: هشام وفادي الغوش

89- البوطي الدعوة والجهاد والإسلام السياسي (ط1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2012م).

*الغزالي: أبو حامد

90- إحياء علوم الدين (د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت).

91- معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1975م).

*الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب

92- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار (د.ط، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996م).

93- القاموس المحيط (ط8، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، 2005م).

*القاري: علي بن محمد

94- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ط1، بيروت-لبنان، دار الفكر، 2002م).

*القاسمي: محمد جمال الدين

95-محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ).

*قطب: محمد

96-الإنسان بين المادية والإسلام (ط9، القاهرة، دار الشروق، 1988م).

*المالح: محمد رياض، ونزار أباطة

97-إتمام الأعلام (ط1، بيروت-لبنان، دار صادر 1999م).

*المبارك: محمد

98-نظام الإسلام العقيدة والعبادة (ط1، د.ن، دار الفكر، 1968م).

*مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

99-التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ط1، د.ن، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1973م-1993م).

*محمود: عبد الحلیم

100-الإسلام والعقل (ط4، القاهرة، دار المعارف، د.ت).

المراغي: أحمد بن مصطفى

101-تفسير المراغي (ط1، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1946م).

*المطرودي: عبد الرحمن بن إبراهيم

102-الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم (ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1990م).

*مسلم: بن الحجاج القشيري النيسابوري

103-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (د.ط، بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، د.ت).

* ملتقى أهل الحديث

104- المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، (د.ط، د.ن، د.د، د.ت).

* المناوي: محمد عبد الرؤوف

105- التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية (ط1، دار الفكر، بيروت-دمشق، 1989م).

* الناصري: محمد المكي

106- التيسير في أحاديث التفسير، ط1، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1985م).

* النجار: عبد المجيد

107- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل (ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر إسلامي، 1987م).

108- الشهود الحضاري للأمة الإسلامية (فقه التحضر) (ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م).

109- قيمة الإنسان (ط1، الرباط- المملكة المغربية، دار الزيتونة للنشر، 1996م).

110- مبدأ الإنسان (ط1، الرباط- المملكة المغربية، دار الزيتونة للنشر، 1996م).

* الهلالي: مجدي

111- حقيقة العبودية (د.ط، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، د.ت).

فهرس الموضوعات

.....	الإهداء
.....	شكر وعرافان
.....	مقدمة

المبحث الأول: المفاهيم والترجمة

9	المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصطلاحاً
16	المطلب الثاني: ترجمة محمد سعيد رمضان البوطي

المبحث الثاني: وجود الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

21	المطلب الأول: خلق الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي
29	المطلب الثاني: تكوين الإنسان في فكر محمد سعيد رمضان البوطي

المبحث الثالث: خلافة الإنسان ومصيره في اليوم الآخروي عند البوطي

49	المطلب الأول: وظيفة الإنسان ومسؤوليته في فكر البوطي
67	المطلب الثاني: جزاء ومصير الإنسان الآخروي في فكر البوطي
81	خاتمة

85	الفهارس العامة
88	فهرس الآيات
94	فهرس الأحاديث
95	فهرس الأعلام
97	قائمة المصادر والمراجع:
108.....	فهرس الموضوعات
109.....	ملخص الدراسة:

ملخص الدراسة:

لقد تمّ التطرّق في هذه الدّراسة إلى موضوع الإنسان عند علم من أعلام الدّعوة الإسلاميّة؛ حيث تعالج مبحث الإنسان من حيث خلقه، وتكوينه، واستخلافه في الأرض، ومصيره في الحياة الآخروية؛ وعليه قُمنّا بصياغة الإشكالية كما يلي:

ما هي الرؤية الفكرية للوجود الإنساني عند محمّد سعيد رمضان البوطي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية قمنّا بتقسيم هذا الموضوع إلى ثلاثة مباحث؛ فقد جاء في كلّ مبحث ما يلي:

المبحث الأوّل: والذي تطرّقنا فيه إلى المفاهيم والترجمة.

المبحث الثاني: رصدنا فيه وجود الإنسان في فكر محمّد سعيد رمضان البوطي من حيث الخلق والتّكوين.

المبحث الثالث: تناولنا فيه خلافة الإنسان ومصيره في اليوم الآخروي عند الإمام البوطي.

هذا وقد توصّلنا إلى أهمّ التّائج والتي تُعطي إجابة مباشرة للإشكالية المطروحة:

* الإنسان في الرؤية الفكرية عند البوطي؛ مكرّم، مخلوق منذ النّشأة الأولى في أحسن تقويم وفي أتمّ مظهر، كما أنّه مكوّن من عنصرين مهمّين جانب الجسد والروح، وما الإسلام إلّا غذاء لكليهما.

* الإنسان في تصوّر الشيخ البوطي كائن استهّلّ بأمر الخلافة في الأرض؛ ليقوم بالمهام والوظائف التي أنيطت به، كما أنّه بعد موته يمرّ بمراحل في الحياة الآخروية، للاستعداد لرحلة الخلود في الجنّة أو إلى النّار.

Summary

Firstly, the current study aims to define human through many sides such as : creation, formation, living & reproduction and his fate of After Life . However, we formulated the following problematic : What is the ideological vision for human existence according to Mohamed Said Ramadan AL Bouti ?.

Secondly, to answer the above question we have separated our study into 3 parts such as:

1/ the first part talks about concepts & translation .

2/ the second part talks about the existence of human being in the Mohamed Said Ramadan AL Bouti vision (reproduction & formation) .

3/ the last part talk about how the human will live in that earth ? And how he will reproduct(marriage). His fate After Life according to Mohamed Said Ramadan AL Bouti.

Finally, we've reached to :

* The human was created by Allah in a better evaluation ,and he formed from BOY &SOUL but the ISLAM is complementary for both of them.

*The human (according to Mohamed Said Ramadan AL Bouti) HE/SHE ordered by Allah to reproduct & increase .Also, to think about After Life either Heaven or Hell.